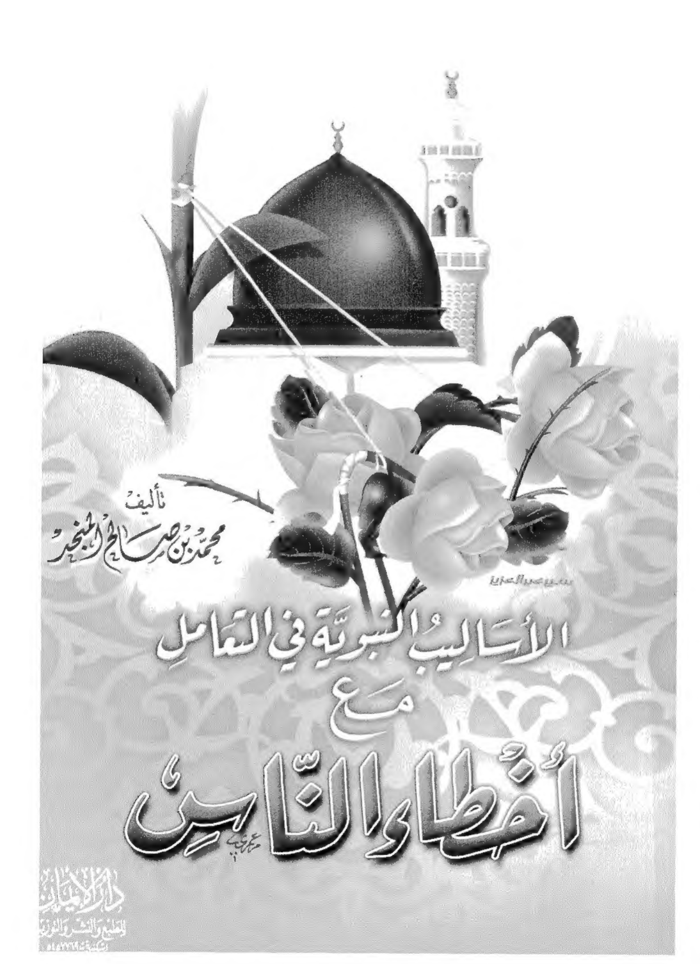

تأليف
محمد بن صالح المنجد
الأساليب النبوية في التعامل
مع
أخطاء الناس
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

الأساليب النبوية
فى
التعامل مع أخطاء الناس

تأليف
محمد صالح المنجد





بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٣٦٩

رقم الإيداع ٩١٨٧ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولي
977-331-07-3

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس ٥٤٥٧٣٦٩ - تليفون ٥٤٦٤٩٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين معلِّم الخلق المبعوث رحمة للعالمين وبعد :

فإن تعليم الناس من القربات العظيمة التي يتعدَّى نفعها ويعمُّ خيرها ، وهي حظ للدعاة والمربين من ميراث الأنبياء والمرسلين «**وإِنَّ الله وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**»[1] ، والتعليم طرائق وأنواع وله وسائل وسُبُل ومنها تصحيح الأخطاء ، فالتصحيح من التعليم وهما صنوان لا يفترقان .

ومعالجة الأخطاء وتصحيحها من النصيحة في الدين الواجبة على جميع المسلمين ، وصلة ذلك بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوية وواضحة ، مع ملاحظة أن دائرة الخطأ أوسع من دائرة المنكر فالخطأ قد يكون منكرًا وقد لا يكون .

وتصحيح الأخطاء كذلك من الوحي الرباني والمنهج القرآني ، فقد كان القرآن ينزل بالأوامر والنواهي والإقرار والإنكار وتصحيح الأخطاء ، حتى مما وقع من النبي ﷺ ، فنزلت معاتبات وتنبيهات ،

---

(١) رواه الترمذي : «سنن الترمذي» ط. أحمد شاكر رقم (٢٦٨٥) وقَالَ أبو عيسى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ .

كما في قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾[عَبَسَ: ١-١٠] ، وقوله : ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧] ، وقوله : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٦٧﴾ [الأنفال: الآية ٦٧] وقوله : ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝١٢٨﴾ [آل عِمرَان: ١٢٨] .

وكان القرآن يتنزل ببيان خطأ أفعال بعض الصحابة في عدد من المواقف ، فلما أخطأ حاطب بن أبي بلتعة ﷺ خطأ عظيمًا في مراسلة كفار قريش مبينًا لهم وجهة النبي ﷺ إليهم في الغزو ، نزل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [المُمتَحنَة: ١] .

وفي شأن خطأ الرماة في غزوة أحد لما تركوا مواقعهم التي أمرهم النبي ﷺ بلزومها نزل قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٢] .

ولما اعتزل النبي ﷺ زوجاته تأديبًا ، وأشاع بعض الناس أنه طلّق نساءه نزل قوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ

مِنْهُمْ﴾ [النِّساء: ٨٣] .

ولما ترك بعض المسلمين الهجرة من مكة إلى المدينة لغير عذر شرعي أنزل الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[النِّساء: الآية ٩٧] . . . الآية .

ولما انساق بعض الصحابة وراء إشاعات المنافقين في اتهام عائشة بما هي منه بريئة ؛ أنزل الله آيات في هذا الإفك وفيها : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النُّور: الآيتان ١٤،١٥] ثم قال : ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ .

ولما تنازع بعض الصحابة بحضرة النبي ﷺ وارتفعت أصواتهم نزل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الحجرات : ١، ٢] .

ولمّا جاءت قافلةٌ وقت خطبة الجمعة فترك بعض الناس الخطبة وانفضوا إلى التجارة ؛ نزل قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجُمُعَة: الآية ١١] .

إلى غير ذلك من الأمثلة الدالة على أهمية تصحيح الأخطاء وعدم السكوت عنها .

وسار النبي ﷺ على نور من ربه سالكًا سبيل إنكار المنكر

وتصحيح الخطأ غير متوانٍ في ذلك ، ومن هذا وغيره استنبط العلماء رحمهم الله تعالى قاعدة : «لا يجوز في حقِّ النبي ﷺ تأخير البيان عن وقت الحاجة» .

وإدراك المنهج النبوي في التعامل مع أخطاء البشر الذين لاقاهم النبي ﷺ من الأهمية بمكان ؛ لأنه ﷺ مؤيد من ربِّه ، وأفعاله وأقواله رافقها الوحي إقرارًا وتصحيحًا ، فأساليبه ﷺ أحكم وأنجع ، واستعمالها أدعى لاستجابة الناس ، واتباع المربي لهذه الأساليب والطرائق يجعل أمره سديدًا وسلوكه في التربية مستقيما ، ثمَّ إن اتباع المنهج النبوي وأساليبه فيه الاتساء بالنبي ﷺ الذي هو أسوة حسنة لنا ، ويترتب على ذلك حصول الأجر العظيم من الله تعالى إذا خلصت النية .

ومعرفة الأساليب النبوية تبين فشل أساليب المناهج الأرضية - التي تزخر بها الآفاق - وتقطع الطريق على اتِّباعها ، فإن كثيرًا منها واضح الانحراف وقائم على نظريات فاسدة - كالحرية المطلقة - أو مستمد من موروثات باطلة - كالتقليد الأعمى للآباء والأجداد .

ولابدَّ من الإشارة إلى أن التطبيق العملي لهذا المنهج النبوي في الواقع يعتمد على الاجتهاد بدرجة كبيرة ، وذلك في انتقاء الأسلوب الأمثل في الظرف والحدث الحاصل ، ومن كان فقيه النفس استطاع ملاحظة الحالات المتشابهة والأحوال المتقاربة ، فينتقي من هذه الأساليب النبوية ما يلائم ويوائم .

وهذا الكتاب محاولة لاستقراء الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس على اختلاف مراتبهم ومشاربهم ممن عايشهم ﷺ وواجههم ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب فيه التوفيق وإصابة الصواب والنفع لي ولإخواني المسلمين ، إنه ولي ذلك والقادر ، عليه وهو الهادي إلى سواء السبيل .

تنبيهات وفروقات ينبغي مراعاتها

عند معالجة الأخطاء

قبل الدخول في صلب هذا البحث يحسن التنبيه على بعض الفروقات والاعتبارات التي ينبغي أن تُراعى قبل وعند الشروع في تصحيح ومعالجة أخطاء الآخرين .

الإخلاص لله .

يجب أن يكون القصد عند القيام بتصحيح الأخطاء إرادة وجه الله تعالى وليسَ التعالي ولا التشفي ولا السعي لنيل استحسان المخلوقين .

روى الترمذي رحمه الله تعالى ، عن شُفَيٍّ الأَصْبَحِيِّ ، أنه دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلا قُلْتُ لَهُ : أَنْشُدُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَفْعَلُ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ الله ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ : ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً[1] فَمَكَثَ قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ: لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ الله ﷺ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى ثُمَّ أَفَاقَ ، فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ : لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً أُخْرَى ، ثُمَّ أَفَاقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ : أَفْعَلُ لأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا مَعَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ ،

(١) أي : شهق حتى كاد أن يغمى عليه .

ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ ، فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي رَسُولُ الله ﷺ : «أَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ الله وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ ، فَيَقُولُ الله لِلْقَارِئِ : أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، فَيَقُولُ الله لَهُ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ ، وَيَقُولُ الله : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ فُلانًا قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ

وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ ، فَيَقُولُ الله لَهُ : أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ ، فَيَقُولُ الله لَهُ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ ، وَيَقُولُ الله تَعَالَى : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فُلَانٌ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ .

وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقُولُ الله لَهُ : فِي مَاذَا قُتِلْتَ ؟ فَيَقُولُ : أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ ، فَيَقُولُ الله تَعَالَى لَهُ : كَذَبْتَ ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ ، وَيَقُولُ الله : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فُلَانٌ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى رُكْبَتِي ، فَقَالَ : «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١] .

وإذا صدقت النية من الناصح حصل الأجر والتأثير والقبول بإذن الله .

❁ الخطأ من طبيعة البشر :

لقوله ﷺ : «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[٢] .

---

(١) «سنن الترمذي» رقم (٢٣٨٢) ط. شاكر وقَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٤٩٩) وابن ماجة واللفظ له «السنن» تحقيق . عبد الباقي رقم (٤٢٥١) .

ووضوح هذه الحقيقة واستحضارها يضع الأمور في إطارها الصحيح ، فلا يفترض المربي المثالية أو العصمة في الأشخاص ثم يحاسبهم بناء عليها أو يحكم عليهم بالفشل إذا كبُر الخطأ أو تكرر ، بل يعاملهم معاملة واقعية صادرة عن معرفة بطبيعة النفس البشرية المتأثرة بعوارض الجهل والغفلة والنقص والهوى والنسيان .

وهذه الحقيقة أيضًا تفيد في منع فقدان التوازن نتيجة المباغتة بحصول الخطأ مما يؤدي إلى ردات فعل غير حميدة ، وإدراك هذه الحقيقة فيه كذلك تذكير للداعية والمربي الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر بأنه بشر من البشر يمكن أن يقع فيما وقع فيه المخطئ فيعامله من شقِّ الرحمة أكثر مما يعامله من شقِّ القسوة ؛ لأن المقصود أصلًا هو الاستصلاح لا المعاقبة .

ولكن كل ما سبق لا يعني أن نترك المخطئين في حالهم ، ونعتذر عن العصاة وأرباب الكبائر بأنهم بشر أو أنهم مراهقون أو أن عصرهم مليء بالفتن والمغريات ، وغير ذلك من التبريرات ؛ بل ينبغي الإنكار والمحاسبة ولكن بميزان الشرع .

۞ أن تكون التخطئة مبنية على الدليل الشرعي مقترنة بالبينة وليست صادرة عن جهل أو أمر مزاجي :

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ : «صَلَّى جَابِرٌ فِي إِزَارٍ قَدْ عَقَدَهُ مِنْ قِبَلِ قَفَاهُ[1] وَثِيَابُهُ مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْمِشْجَبِ ، قَالَ : لَهُ قَائِلٌ تُصَلِّي فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ ؟ فَقَالَ إِنَّمَا صَنَعْتُ ذَلِكَ لِيَرَانِي أَحْمَقُ مِثْلُكَ ، وَأَيُّنَا كَانَ لَهُ ثَوْبَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ»[2] .

---

(١) وسبب ذلك أنهم لم يكن لهم سراويلات ، فكان أحدهم يعقد إزاره في قفاه ليكون مستورًا إذا ركع وإذا سجد . «فتح الباري» ط . السلفية (١/٤٦٧) .
(٢) رواه البخاري «الفتح» رقم (٣٥٢) .

قال ابن حجر رحمه الله : «المراد بقوله أحمق هنا أي : جاهل . . والغرض بيان جواز الصلاة في الثوب الواحد ولو كانت الصلاة في الثوبين أفضل ، فكأنه قال : صنعته عمدًا لبيان الجواز إما ليقتدي بي الجاهل ابتداءً أو يُنكر عليَّ فأعلِّمه أن ذلك جائز ، وإنما أغلظ لهم في الخطاب زجرًا عن الإنكار على العلماء ، وليحثَّهم على البحث في الأمور الشرعية»[(١)] .

كلما كان الخطأ أعظم كان الاعتناء بتصحيحه أشد :

فالعناية بتصحيح الأخطاء المتعلقة بالمعتقد ينبغي أن تكون أعظم من تلك المتعلقة بالآداب مثلًا وهكذا ، وقد اهتم النبي ﷺ غاية الاهتمام بتتبع وتصحيح الأخطاء المتعلقة بالشرك بجميع أنواعه ؛ لأنه أخطر ما يكون وفيما يلي أمثلة :

عن الْمُغِيرَةِ ابْنِ شُعْبَةَ قال : انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ، فَقَالَ النَّاسُ : انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ ﷺ : **«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ الله ، لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا الله وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ»**[(٢)] .

وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا : «ذَاتُ أَنْوَاطٍ» ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا : «يَا رَسُولَ الله ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **«سُبْحَانَ الله ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»**[(٣)] .

وفي رواية عن أبي واقد أيضًا : أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ

(١) «الفتح» (٤٦٧/١) .

(٢) رواه البخاري «فتح» (١٠٦١) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢١٨٠) وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

رَسُولِ الله ﷺ إِلَى حُنَيْن ، قَالَ : وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا : «ذَاتُ أَنْوَاطٍ» قَالَ : فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ ، قَالَ : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ الله ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٨] ، إِنَّهَا السُّنَنُ ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً»(١) .

وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟» قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»(٢) .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ الله ، مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ ، فَقَالَ : «جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا ؟ بَلْ مَا شَاءَ الله وَحْدَهُ»(٣) .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ ، فَنَادَاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ : «أَلا إِنَّ الله يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِالله وَإِلا فَلْيَصْمُتْ»(٤) .

---

(١) رواه أحمد: «المسند» (٥/٢١٨) .
(٢) رواه البخاري : «فتح» رقم (٨٤٦) .
(٣) رواه أحمد : «المسند» (١/٢٨٣) .
(٤) رواه البخاري : «فتح» (٦١٠٨) .

* فائدة : روى الإمام أحمد في «مسنده» : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ : حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ : عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ : كُنْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي حَلْقَةٍ ، فَسَمِعَ رَجُلًا فِي حَلْقَةٍ أُخْرَى وَهُوَ يَقُولُ : لا وَأَبِي ، فَرَمَاهُ ابْنُ عُمَرَ بِالْحَصَى وَقَالَ : إِنَّهَا كَانَتْ يَمِينَ عُمَرَ فَنَهَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهَا ، وَقَالَ : «إِنَّهَا شِرْكٌ» . «الفتح الرباني» (١٤/ ١٦٤).

وعن أبي شريح هانئ بن يزيد قال : وفَد على النبي ﷺ قوم فسمعهم يسمون رجلًا عبد الحجر فقال له : «مَا اسْمُكَ ؟» قَالَ : عَبْدُ الحَجَرِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : «لَا ، أَنْتَ عَبْدُ الله»[1] .

ﷺ اعتبار موقع الشخص الذي يقوم بتصحيح الخطأ :

فبعض الناس يُتقبّل منهم مالا يُتقبل من غيرهم ؛ لأن لهم مكانة ليست لغيرهم ، أو لأن لهم سلطة على المخطئ ليست لغيرهم ، ومن أمثلة هذا : الأب مع ابنه ، والمدرِّس مع تلميذه ، والمحتسب مع من ينكر عليه ، فليس الكبير كالقِرْنِ والصغير ، ولا القريب كالغريب ، وليس صاحب السلطان كمن ليس له سلطة ، والإدراك لهذه الفروق يؤدي بالمُصلح إلى وضع الأمور في نصابها ، وتقدير الأمور حقَّ قدرها ، فلا يؤدي إنكاره أو تصحيحه إلى منكر أكبر أو خطأ أعظم ، ومكانة المُنكِر وهيبته في نفس المخطئ مهمة في تقدير درجة الإنكار وضبط معيار الشدَّة واللين ، ومن هذا نستفيد أمرين :

الأول : إن على من آتاه الله مكانة أو سلطانًا أن يسخِّر ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الخلق ، وأن يدرك أنَّ مسؤوليته عظيمة ؛ لأن الناس يتقبَّلون منه أكثر مما يتقبّلون من غيره - غالبًا - ويتمكَّن مما لا يتمكّن منه الآخرون .

ثانيًا : إنَّ على الآمر الناهي أن لا يُسيء التقدير ، فيضع نفسه في موضع أعلى مما هو عليه ، ويتصرَّف بصفاتٍ شخصية لا يملكها ؛ لأن ذلك يؤدي إلى النفور والصدِّ .

وقد كان النبي ﷺ يستفيد مما أعطاه الله من المكانة والمهابة بين الخلق في إنكاره وتعليمه ، وربما أتى بشيء لو فعله غيره ما وقع الموقع

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٨١٣) وقال الألباني في «صحيح الأدب المفرد» : صحيح . رقم (٦٢٣) .

المناسب ، وفيما يلي مثال على ذلك :

عن يَعِيشَ بْنِ طِهفَةَ الْغِفَارِيِّ عن أبيه قَالَ : ضفت رسول الله ﷺ فِيمَنْ تَضَيَّفَهُ مِنَ المَساكينِ فَخَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ في الليلِ يتعاهدُ ضيفهُ فرآني مُنبطحًا على بطني فَرَكَضَني بِرجلِه وقالَ : «لا تضطجعْ هذه الضِّجعةَ ، فإنَّها ضِجعةٌ يُبغضُها اللهُ عزَّ وجلَّ» وفي رواية : «فركضَهُ بِرِجْلِهِ فَأَيْقَظَهُ ، فَقَالَ : هَذِهِ ضِجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ»[١] .

وإذا كان إنكاره ﷺ بهذه الطريقة مناسبًا لحاله ومكانته ، فإنه ليس بمناسب لآحاد الناس ، ولا يصلح لأي شخص يريد أن يُنكر على آخر نومه على بطنه أن يركضه برجله وهو نائم ، فيوقظه ثم يتوقَّع أن يقبل منه ويشكره .

وقريب من هذا ضرب المخطئ أو رميه بشيء كالحصى ونحوه ، وقد فعل ذلك بعض السلف ، وكل ذلك يعود إلى مكانة المُنكِر ، وفيما يلي بعض القصص :

روى الدارمي رحمه الله : عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ : صَبِيغٌ ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللهِ صَبِيغٌ ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ فَضَرَبَهُ ، وَقَالَ : أَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ ، فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي[٢] .

وروى البخاري رحمه الله تعالى : عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : كَانَ

---

(١) رواه أحمد : «الفتح الرباني» (١٤/ ٢٤٤-٢٤٥) ، ورواه الترمذي رقم (٢٧٩٨) ط. شاكر ، ورواه أبوداود في كتاب الأدب من «سننه» رقم (٥٠٤٠) ط. الدعاس ، والحديث في «صحيح الجامع» (٢٢٧٠ - ٢٢٧١) .
(٢) «سنن الدارمي» ت: عبد الله هاشم يماني (١/ ٥١) رقم (١٤٦) .

حُذَيْفَةُ بِالْمَدَايِنِ فَاسْتَسْقَى ، فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِقَدَحِ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَرْمِهِ إِلا أَنِّي نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهِ ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَقَالَ : «هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ»[١] .

وفي رواية أحمد للقصة : عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ حُذَيْفَةَ إِلَى بَعْضِ هَذَا السَّوَادِ فَاسْتَسْقَى ، فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِإِنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ ، قَالَ : فَرَمَاهُ بِهِ فِي وَجْهِهِ ، قَالَ : قُلْنَا : اسْكُتُوا اسْكُتُوا ، وَإِنَّا إِنْ سَأَلْنَاهُ لَمْ يُحَدِّثْنَا ، قَالَ : فَسَكَتْنَا ، قَالَ : فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ : أَتَدْرُونَ لِمَ رَمَيْتُ بِهِ فِي وَجْهِهِ ؟ قَالَ : قُلْنَا : لا ، قَالَ : إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُهُ ، قَالَ : فَذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «لا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ» قَالَ مُعَاذٌ : لا تَشْرَبُوا فِي الذَّهَبِ وَلا فِي الْفِضَّةِ ، وَلَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ ، وَلا الدِّيبَاجَ ، فَإِنَّهُمَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ[٢] .

وروى البخاري : أَنَّ سِيرِينَ سَأَلَ أَنَسًا الْمُكَاتَبَةَ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ فَأَبَى ، فَانْطَلَقَ إِلَى عُمَرَ ﷺ فَقَالَ : كَاتِبْهُ ، فَأَبَى فَضَرَبَهُ بِالدِّرَّةِ ، وَيَتْلُو عُمَرُ ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: الآية ٣٣] فَكَاتَبَهُ[٣] .

وروى النسائي : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي ، فَإِذَا بِابْنٍ لِمَرْوَانَ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَدَرَأَهُ فَلَمْ يَرْجِعْ ، فَضَرَبَهُ ، فَخَرَجَ الْغُلَامُ يَبْكِي حَتَّى أَتَى مَرْوَانَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ مَرْوَانُ لأَبِي سَعِيدٍ : لِمَ ضَرَبْتَ ابْنَ أَخِيكَ ؟ قَالَ : مَا ضَرَبْتُهُ ، إِنَّمَا ضَرَبْتُ الشَّيْطَانَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :

«إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ فَأَرَادَ إِنْسَانٌ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَدْرَؤُهُ مَا اسْتَطَاعَ ،

(١) «الفتح» رقم (٥٦٣٢) .
(٢) «المسند» (٥/ ٣٩٦) .
(٣) «الفتح» (٥/ ١٨٤) .

فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ»[(١)] .

وروى أحمد رحمه الله : عَنْ أَبِي النَّضْرِ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ كَانَ يَشْتَكِي رِجْلَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَخُوهُ ، وَقَدْ جَعَلَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى وَهُوَ مُضْطَجِعٌ ، فَضَرَبَهُ بِيَدِهِ عَلَى رِجْلِهِ الْوَجِعَةِ فَأَوْجَعَهُ ، فَقَالَ : أَوْجَعْتَنِي ، أَوَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ رِجْلِي وَجِعَةٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ نَهَى عَنْ هَذِهِ[(٢)] .

وروى مالك : عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ إِلَى رَجُلٍ أُخْتَهُ ، فَذَكَرَ أَنَّهَا قَدْ كَانَتْ أَحْدَثَتْ[(٣)] ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَضَرَبَهُ - أَوْ كَادَ يَضْرِبُهُ - ثُمَّ قَالَ : مَا لَكَ وَلِلْخَبَرِ[(٤)] .

وروى مسلم في صحيحه : عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ كُنْتُ مَعَ الأَسْوَدِ ابْنِ يَزِيدَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ الأَعْظَمِ وَمَعَنَا الشَّعْبِيُّ ، فَحَدَّثَ الشَّعْبِيُّ بِحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَجْعَلْ لَهَا سُكْنَى وَلا نَفَقَةً ، ثُمَّ أَخَذَ الأَسْوَدُ كَفًّا مِنْ حَصًى فَحَصَبَهُ بِهِ ، فَقَالَ : وَيْلَكَ تُحَدِّثُ بِمِثْلِ هَذَا ؟ قَالَ : عُمَرُ لا نَتْرُكُ كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لا نَدْرِي لَعَلَّهَا حَفِظَتْ أَوْ نَسِيَتْ ، لَهَا السُّكْنَى وَالنَّفَقَةُ ، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[(٥)] .

وروى أبو داود بإسناد فيه مقبولان : دَخَلَ رَجُلانِ مِنْ أَبْوَابِ كِنْدَةَ وَأَبُو مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيُّ جَالِسٌ فِي حَلْقَةٍ ، فَقَالا : أَلا رَجُلٌ يُنَفِّذُ بَيْنَنَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْحَلْقَةِ : أَنَا ، فَأَخَذَ أَبُو مَسْعُودٍ كَفًّا مِنْ حَصًى فَرَمَاهُ بِهِ

---

(١) «المجتبى» من سنن النسائي (٨/ ٦١) . «صحيح سنن النسائي» برقم (٤٥١٨) .
(٢) «المسند» (٣/ ٤٢) .
(٣) أي : زنت .
(٤) «موطأ مالك» رقم (١٥٥٣) رواية أبي مصعب الزهري . ت: بشار معروف ومحمود خليل . مؤسسة الرسالة .
(٥) «صحيح مسلم» رقم (١٤٨٠) .

وَقَالَ : مَهْ ، إِنَّهُ كَانَ يُكْرَهُ التَّسَرُّعُ إِلَى الْحُكْمِ[١] .

ونلاحظ أيضًا أنَّ إنكار النبي ﷺ على بعض خواصِّ أصحابه كان أحيانًا أشدَّ منه على أعرابي مثلًا أو غريب ، وكلُّ هذا من الحكمة وتقدير الحال في الإنكار .

التفريق بين المخطئ الجاهل والمخطئ عن علم :

ومن القصص الواضحة في هذا ما حدث لمعاوية بن الحكم السلمي ﷺ لما جاء إلى المدينة من البادية ، ولم يكن يدري عن تحريم الكلام في الصلاة ، قَالَ : بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ الله ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ ، وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ[٢] ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، فَوَ الله مَا كَهَرَنِي[٣] ، وَلا ضَرَبَنِي وَلا شَتَمَنِي ، قَالَ : «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءةُ الْقُرْآنِ**»[٤] .

فالجاهل يحتاج إلى تعليم ، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان ، والغافل يحتاج إلى تذكير ، والمصرُّ يحتاج إلى وعظ ، فلا يسوغ أن يسوّى بين العالم بالحكم والجاهل به في المعاملة والإنكار ، بل إن الشدة على الجاهل كثيرًا ما تحمله على النفور ورفض الانقياد ، بخلاف ما لو علَّمه أولًا بالحكمة واللين ؛ لأن الجاهل عند نفسه لا يرى أنه

---

(١) رواه أبو داود كتاب الأقضية ، باب في طلب القضاء والتسرع إليه .
(٢) أي : أوشكت أن أردَّ عليهم ، لكني تمالكت نفسي ولزمت السكوت .
(٣) أي : زجرني وعبس في وجهي .
(٤) «صحيح مسلم» ط. عبد الباقي رقم (٥٣٧) .

مخطئ ، فلسان حاله يقول لمن يُنكر عليه : أفلا علمتني قبل أن تهاجمني ؟

وقد يُجانب المُخطئ الصواب وهو لا يشعر ؛ بل قد يظنُّ نفسه مصيبًا ، فيُراعى لأجل ذلك ، جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى : عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاةُ ، فَقَامَ وَقَدْ كَانَ تَوَضَّأَ قَبْلَ ذَلِك ، فَأَتَيْتُهُ بِمَاءٍ لِيَتَوَضَّأَ مِنْهُ ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ : «وَرَاءَكَ» فَسَاءَنِي وَالله ذَلِك ، ثُمَّ صَلَّى فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ الله ، إِنَّ الْمُغِيرَةَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِ انْتِهَارُكَ إِيَّاهُ ، وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِكَ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **«لَيْسَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِي شَيْءٌ إِلا خَيْرٌ ، وَلَكِنْ أَتَانِي بِمَاءٍ لأَتَوَضَّأَ ، وَإِنَّمَا أَكَلْتُ طَعَامًا ، وَلَوْ فَعَلْتُهُ فَعَلَ ذَلِكَ النَّاسُ بَعْدِي»**[1] .

ويُلاحظ هنا أن تخطئة النبي ﷺ لمثل هؤلاء الصحابة الأجلاء لم تكن لتؤثر في نفوسهم تأثيرًا سلبيًا ، فتحملهم على كره أو نفور ، بل إنها كانت تؤثر في نفوسهم تأثيرًا إيجابيًا ، فيبقى الواحد منهم بعد تخطئته من النبي ﷺ وجلًا مشفقًا متهمًا نفسه ، يعيش في حرج عظيم لا يسرَّى عنه إلا أن يتأكد من رضى رسول الله ﷺ عنه .

ويُلاحظ في هذه القصة كذلك أن تخطئة النبي ﷺ للمغيرة لم تكن غضبًا من شخص المغيرة ، ولكن شفقة على الناس وتبيينًا لهم ، حتى لا يظنوا ما ليس بواجب واجبًا فيقعوا في الحرج .

ﷺ التفريق بين الخطأ الناتج عن اجتهاد صاحبه وبين خطأ العمد والغفلة والتقصير :

ولا شكَّ أن الأول ليس بملوم ، بل إنه يؤجر أجرًا واحدًا إذا

---

(١) «المسند» : (٤/٢٥٣) .

أخلص واجتهد ، لقوله ﷺ : «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ»(١) .

وهذا بخلاف المخطئ عن عمد وتقصير فلا يستويان ، فالأول يعلَّم ويناصح ، بخلاف الثاني فإنه يوعظ ويُنكر عليه .

ويجب أن يكون الاجتهاد الذي يُعذر به صاحبه اجتهادًا سائغًا من شخص مؤهل ، بخلاف من يفتي بغير علم ، أولا يُراعي الأحوال ، ولذلك اشتد إنكار النبي ﷺ على المخطئين في قصة صاحب الشجَّة ، فقد روى أبو داود في سننه ، عن جَابِرٍ ﷺ قَالَ : خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ ، فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ ؟ فَقَالُوا : مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ، أَلا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا ؟ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»(٢) . . .

وكذلك فإن النبي ﷺ أخبر أن : «الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ ، فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ»(٣) .

ومن الأمور التي تضبط درجة إنكار الخطأ مراعاة البيئة التي حصل فيها الخطأ ، مثل انتشار السنة أو البدعة وكذلك مدى استشراء

---

(١) رواه الترمذي (١٣٢٦) ط. شاكر وقال أبو عيسى الترمذي : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

(٢) «سنن أبي داود» كتاب الطهارة باب : المجروح يتيمم ، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣٢٥) وأشار إلى ضعف الزيادة في آخره .

(٣) «سنن أبي داود» رقم (٣٥٧٣) وصححه الألباني في «الإرواء» (٢١٦٤) فلم يعتبر هذا الثالث معذورًا .

المنكر ، أو وجود من يفتي بجوازه من الجهلة أو المتساهلين ممن يراهم الناس شيئًا .

إرادة المخطئ للخير لا تمنع من الإنكار عليه :

عن عَمْرِو بْنِ يَحْيَى قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلاةِ الْغَدَاةِ ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ فَقَالَ : أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ ؟ قُلْنَا : لا ، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ ، وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلا خَيْرًا ، قَالَ : فَمَا هُوَ ؟ فَقَالَ : إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ ، قَالَ : رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلاةَ ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ : كَبِّرُوا مِائَةً ، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً ، فَيَقُولُ : هَلِّلُوا مِائَةً ، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً ، وَيَقُولُ : سَبِّحُوا مِائَةً ، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً ، قَالَ : فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ ؟ قَالَ : مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ وَانْتِظَارَ أَمْرِكَ ، قَالَ : أَفَلا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ ؟ ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ ، قَالَ : فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ ، هَؤُلاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلالَةٍ ، قَالُوا : وَالله يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مَا أَرَدْنَا إِلا الْخَيْرَ ، قَالَ : وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، وَايْمُ الله ، مَا أَدْرِي لَعَلَّ

أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ : رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ[1] .

ﷺ العدل وعدم المحاباة في التنبيه على الأخطاء :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: الآية ١٥٢] وقال : ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: الآية ٥٨] .

ولم يمنع كون أسامة بن زيد حبُّ النبي ﷺ وابن حبه أن يشتدَّ عليه في الإنكار حينما حاول أن يشفع في حدٍّ من حدود الله ، فقد روت عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، فَقَالُوا : مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ ؟ فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ ؟ فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ : «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله ؟» فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ : اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ الله ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَاخْتَطَبَ ، فَأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : «**أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنِّي ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**» ، ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقُطِعَتْ يَدُهَا[2] .

وفي رواية للنسائي : عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : اسْتَعَارَتِ امْرَأَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ أُنَاسٍ يُعْرَفُونَ ، وَهِيَ لا تُعْرَفُ ، حُلِيًّا فَبَاعَتْهُ وَأَخَذَتْ ثَمَنَهُ ، فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَسَعَى أَهْلُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، فَكَلَّمَ

---

(١) رواه الدارمي «السنن» رقم (٢١٠) ت: عبد الله هاشم يماني ، وصحح الألباني إسناده في «السلسلة الصحيحة» تحت حديث (٢٠٠٥) وانظر : «مجمع الزوائد» للهيثمي ١/ ١٨١ .

(٢) الحديث في «الصحيحين» وهذا لفظ مسلم رقم (١٦٨٨) .

رَسُولَ الله ﷺ فِيهَا ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُكَلِّمُهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : «أَتَشْفَعُ إِلَيَّ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله ؟» فَقَالَ أُسَامَةُ : اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ الله ، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَشِيَّتَئِذٍ ، فَأَثْنَى عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ ، بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : «أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ فِيهِمْ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» ثُمَّ قَطَعَ تِلْكَ الْمَرْأَةَ[1] .

وموقفه عليه الصلاة والسلام من أسامة ﷺ دالٌّ على عدله ، وأن الشرع عنده فوق محبة الأشخاص ، والإنسان قد يسامح من يريد في الخطأ على شخصه ، ولكن لا يملك أن يُسامح أو يُحابي من يخطئ على الشرع .

وبعض الناس إذا أخطأ قريبه أو صاحبه لم يكن إنكاره عليه مثل إنكاره على من لا يعرفه ، وربما ظهر تحيز وتمييز غير شرعي في المعاملة بسبب ذلك ، بل ربما تغاضى عن خطأ صاحبه وشددّ في خطأ غيره :

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٍ ولكنَّ عينَ السُّخطِ تُبْدي المساويَا

وهذا ينعكس على تفسير الأفعال أيضًا ، فقد يصدر الفعل من شخص محبوب ، فيُحمل على محمل ، ويصدر مثله من شخص آخر فيُحمل على محمل آخر .

وكل ما سبق مقيد بما إذا استوت الأحوال ، وإلا فقد يكون هناك تفاوت في الاعتبارات كما سيأتي ذكره .

---

(١) «سنن النسائي» : «المجتبى» ط. دار الفكر (٨/ ٧٣) . وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» برقم (٤٥٤٨) .

❁ الحذر من إصلاح خطأ يؤدي إلى خطأ أكبر :

من المعلوم أن من قواعد الشريعة تحمُّل أدنى المفسدتين لدرء أعلاهما ، فقد يسكت الداعي عن خطأ لئلا يؤدي الأمر إلى وقوع خطأ أعظم .

لقد سكت النبي ﷺ عن المنافقين ولم يقتلهم مع ثبوت كفرهم ، وصبر على أذاهم لئلا يقول الناس : محمد يقتل أصحابه ، خصوصًا مع خفاء أمرهم ، ولم يهدم النبي ﷺ الكعبة ليبنيها على قواعد إبراهيم الخليل من أجل أن قريشًا كانوا حديثي عهد بجاهلية ، وخشي عليه الصلاة والسلام أن لا تحتمل ذلك عقولهم ، وترَك البنيان على ما فيه من النقص ، والباب على ارتفاعه وإغلاقه عن العامة ، مع أن في ذلك نوعًا من الظلم .

وقبل ذلك نهى الله تعالى عن سبِّ آلهة المشركين ، مع أنه طاعة وقربة ، إذا كان ذلك يؤدي إلى سب الله عز وجل ، وهو أعظم منكر .

فقد يسكت الداعية عن منكر أو يؤجل الإنكار أو يغيّر الوسيلة إذا رأى في ذلك تلافيًا لخطأ ، أو منكر أكبر ، ولا يُعتبر ذلك تقصيرًا ولا تخاذلًا ، مادام صادق النية لا يخاف في الله لومة لائم ، وكان الذي منعه مصلحة الدين لا الخور والجبن .

ومما يُلاحظ أن من الأسباب المؤدية إلى الوقوع في خطأ أكبر عند إنكار خطأ ما ؛ هو الحماس غير المنضبط بالحكمة .

❁ إدراك الطبيعة التي نشأ عنها الخطأ :

هناك بعض الأخطاء التي لا يمكن إزالتها بالكلية لأمر يتعلق بأصل الخلقة ، ولكن يمكن تقليلها والتخفيف منها ؛ لأن التقويم النهائي يؤدي إلى كارثة ، كما هو الشأن في المرأة ؛ قال المصطفى ﷺ : «إنَّ

الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا ، وَكَسْرُهَا طَلاقُهَا»(١) .

وفي رواية : «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»(٢) .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : «قوله : «بالنساء خيرًا» كأن فيه رمزًا إلى التقويم برفق ، بحيث لا يُبالغ فيه فيكسر ، ولا يتركه فيستمر على عوجه ، فيؤخذ منه أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدَّت ما طُبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها ، أو ترك الواجب ، وإنما المراد أن يتركها عل اعوجاجها في الأمور المباحة . وفي الحديث المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب . وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن ، والصبر على عوجهن ، وأن من رام تقويمهن فاته الانتفاع بهن ، مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه فكأنه قال : الاستمتاع بها لا يتمُّ إلا بالصبر عليها»(٣) .

التفريق بين الخطأ في حق الشرع والخطأ في حق الشخص :

فإذا كان الدين أغلى عندنا من ذواتنا ، وجب علينا أن ننتصر له ونحامي عنه ونغضب له أكثر مما نغضب لأنفسنا وننتصر لها ، وإن من ضعف الحمية الدينية أن ترى الشخص يغضب لنفسه إذا سبَّه أحد ، ولا يغضب لدين الله إذا اعتدى على جنابه أحد ، أو تراه يدافع باستحياء وضعف .

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ رقم (١٤٦٨) .
(٢) البخاري عن أبي هريرة «الفتح» رقم (٥١٨٦) .
(٣) «فتح» (٩/ ٩٥٤) .

وقد كان النبي ﷺ يسامح من أخطأ عليه كثيرًا ، وخصوصًا جُفاة الأعراب ، تأليفًا لقلوبهم ، فقد جاء في «صحيح البخاري» رحمه الله تعالى : عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ الله ﷺ ، قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ، ثُمَّ ضَحِكَ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[١] .

وأما إذا كان الخطأ على الدين فإنه ﷺ كان يغضب لله تعالى وستأتي أمثلة .

وهناك أمور أخرى تحتاج إلى مراعاة في باب التعامل مع الأخطاء مثل :

* التفريق بين الخطأ الكبير والخطأ الصغير ، وقد فرقت الشريعة بين الكبائر والصغائر .

* التفريق بين المخطئ صاحب السوابق في عمل الخير والماضي الحسن ، الذي يتلاشى خطؤه أو يكاد في بحر حسناته ، وبين العاصي المسرف على نفسه ، وكذلك فإن صاحب السوابق الحسنة يُحتمل منه ما لا يُحتمل من غيره ، ومما وقع للصديق في ذلك القصة التالية : عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حُجَّاجًا ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْعَرْجِ نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَنَزَلْنَا ، فَجَلَسَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا إِلَى جَنْبِ رَسُولِ الله ﷺ وَجَلَسْتُ إِلَى جَنْبِ أَبِي ، وَكَانَتْ زِمَالَةُ[٢] أَبِي بَكْرٍ وَزِمَالَةُ رَسُولِ الله ﷺ وَاحِدَةً

(١) «الفتح» ٥٨٠٩ .
(٢) دابة السفر .

مَعَ غُلامٍ لِأَبِي بَكْرٍ ، فَجَلَسَ أَبُو بَكْرٍ يَنْتَظِرُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ ، فَطَلَعَ وَلَيْسَ مَعَهُ بَعِيرُهُ ، قَالَ : أَيْنَ بَعِيرُكَ ؟ قَالَ : أَضْلَلْتُهُ الْبَارِحَةَ ، قَالَ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَعِيرٌ وَاحِدٌ تُضِلُّهُ ؟! قَالَ : فَطَفِقَ يَضْرِبُهُ ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَبَسَّمُ وَيَقُولُ : «انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْمُحْرِمِ مَا يَصْنَعُ ؟!» قَالَ ابْنُ أَبِي رِزْمَةَ : فَمَا يَزِيدُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَنْ يَقُولَ : «انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْمُحْرِمِ مَا يَصْنَعُ؟!» وَيَتَبَسَّمُ[1] .

* التفريق بين من وقع منه الخطأ مرارًا ، وبين من وقع فيه لأول مرة .

* التفريق بين من يتوالى منه حدوث الخطأ ، وبين من يقع فيه على فترات متباعدة .

* التفريق بين المجاهر بالخطأ والمستتر به .

* مراعاة من دينه رقيق ويحتاج إلى تأليف قلب فلا يُغلظ عليه .

* اعتبار حال المخطئ من جهة المكانة والسلطان .

وهذه الاعتبارات التي مضى ذكرها لا تتعارض مع العدل المشار إليه آنفًا .

* الإنكار على المخطئ الصغير بما يتناسب مع سنِّه .

روى البخاري رحمه الله تعالى : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْهُ أَنَّ الْحَسَنَ ابْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْفَارِسِيَّةِ : «كِخْ كِخْ ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»[2] .

وروى الطبراني رحمه الله : عن زينب بنت أبي سلمة أنها دخلت

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» كتاب المناسك ، باب : المُحرم يؤدب غلامه . وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» رقم (١٦٠٢) .

(٢) «فتح» (٣٠٧٢) .

على رسول الله ﷺ وهو يغتسل ، قالت : فأخذ حفنة من ماء فضرب بها وجهي وقال : «وَرَاءَكِ أي لكَاعُ»[١].

وبهذا يتبين أن صِغَر الصغير لا يمنع من تصحيح خطئه ؛ بل ذلك من إحسان تربيته ، وهذا مما ينطبع في ذاكرته ، ويكون ذخيرة لمستقبله ، فالحديث الأول فيه تعليم الطفل الورع ، والثاني فيه تعليمه الأدب في الاستئذان وعدم الاطِّلاع على العورات .

ومن الشواهد الرائعة في هذا أيضًا ، قصة الغلام الصغير عمر بن أبي سلمة فقد روى البخاري عنه قال : كُنْتُ غُلامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله ﷺ ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : «يَا غُلامُ ، سَمِّ الله ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ[٢] .

نلحظ في هذه القصة أن توجيهات النبي ﷺ لذلك الغلام الذي أخطأ في تجوال يده في الطعام كانت قصيرة ومختصرة وواضحة ، يسهل حفظها وفهمها ، ولقد أثَّرت في نفس الغلام طيلة عمره ، فقال : فما زالت تلك طعمتي بعد .

* الحذر عند الإنكار على النساء الأجنبيات حتى لا يُفهم الإنكار فهمًا خاطئًا ، وحتى تؤمن الفتنة فلا يُتساهل في كلام الشاب مع الفتاة الشابة بحجة بيان الخطأ أو الإنكار والتعليم ، وكم جرَّ هذا من مصائب ، وينبغي أن يتاح في هذا المجال دور كبير لأهل الحسبة ، ومن يقوم معهم بالإنكار من كبارْ السن ، وعلى الآمر الناهي أن يعمل بما غلب على ظنه في جدوى الإنكار ، فإن غلب على ظنه

(١) «المعجم الكبير» (٢٤/٢٨١) وقال الهيثمي : إسناده حسن «المجمع» (١/٢٦٩).
(٢) «الفتح» رقم(٥٣٧٦) .

النفع تكلم ، وإلا أحجم عن الكلام مع سفيهات ربما رمينه ببهتان وهنّ مصرَّات على الباطل ، ويبقى حال المجتمع ومكانة الآمر الناهي لها دور أساسي في نجاح عملية الإنكار أو التبليغ وإقامة الحجة ، وفيما يلي قصَّة :

عن مولى أبي رُهْمٍ ، وَاسْمُهُ عُبَيْدٌ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَقِيَ امْرَأَةً مُتَطَيِّبَةً تُرِيدُ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ : يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ ، أَيْنَ تُرِيدِينَ ؟ قَالَتِ : الْمَسْجِدَ ، قَالَ : وَلَهُ تَطَيَّبْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : **«أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ ، لَمْ تُقْبَلْ لَهَا صَلاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ»**[(١)] .

وفي صحيح ابن خزيمة : مرَّت بأبي هُرَيْرَةَ امْرَأة وريحها تعصف ، فَقَالَ لها : إلى أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ ؟ قَالَت : إلى الْمَسْجِد ، قَالَ : تَطَيَّبْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : فارجعي فاغتسلي ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«لا يقبل الله من امْرَأَةٍ صلاة خَرَجَتْ إلى الْمَسْجِد وريحها تعصف حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ»**[(٢)] .

* عدم الانشغال بتصحيح آثار الخطأ وترك معالجة أصل الخطأ وسببه .
* عدم تضخيم الخطأ والمبالغة في تصويره .
* ترك التكلف والاعتساف في إثبات الخطأ ، وتجنُّب الإصرار على انتزاع الاعتراف من المخطئ بخطئه .
* إعطاء الوقت الكافي لتصحيح الخطأ ، خصوصًا لمن درج عليه

(١) رواه ابن ماجة رقم (٤٠٠٢) وهو في «صحيح ابن ماجة» (٢/٣٦٧) .
(٢) «صحيح ابن خزيمة» رقم (٢٦٨٢) وقال الألباني في تعليقه : حديث حسن وهو في «المسند» (٢/٢٤٦) ، وصحح أحمد شاكر الحديث بطرقه في تعليقه على «المسند» رقم (٧٣٥٠) .

واعتاده زمانًا طويلًا من عمره ، هذا مع المتابعة والاستمرار في التنبيه والتصحيح .

* تجنب إشعار المخطئ بأنه خصم ، ومراعاة أن كسب الأشخاص أهم من كسب المواقف .

وبعد هذه المقدمة آن الأوان للشروع في عرض بعض ما كان النبي ﷺ يسلكه من الوسائل والأساليب في التعامل مع أخطاء الناس ، كما جاء ذلك في السنّة الصحيحة التي نقلها أهل العلم .

الأساليب النبوية في التعامل مع

أخطاء الناس

(١) المسارعة إلى تصحيح الخطأ وعدم إهماله :

وقد كان النبي ﷺ يبادر إلى ذلك ، لا سيما وأنه لا يجوز في حقِّه تأخير البيان عن وقت الحاجة ، وأنه مكلَّف بأن يبين للناس الحقَّ ويدلهم على الخير ويحذرهم من الشر ، ومسارعته ﷺ إلى تصحيح أخطاء الناس واضحة في مناسبات كثيرة ، كقصة المسيء صلاته ، وقصة المخزومية ، وابن اللتبية ، وقصة أسامة ، والثلاثة الذين أرادوا التشديد والتبتل ، وغيرها ، وستأتي هذه القصص في ثنايا هذا البحث إن شاء الله .

وعدم المبادرة إلى تصحيح الأخطاء قد يفوِّت المصلحة ويضيِّع الفائدة ، وربما تذهب الفرصة ، وتضيع المناسبة ، ويبرد الحدث ، ويضعف التأثير .

(٢) معالجة الخطأ ببيان الحكم :

عن جَرْهَدٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ كَاشِفٌ عَنْ فَخِذِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «غَطِّ فَخِذَكَ فَإِنَّهَا مِنَ الْعَوْرَةِ»[١] .

(٣) ردُّ المخطئين إلى الشرع وتذكيرهم بالمبدأ الذي خالفوه :

في غمرة الخطأ وملابسات الحادث يغيب المبدأ الشرعي عن الأذهان ، ويضيع في المعمعة ، فيكون في إعادة إعلان المبدأ والجهر

(١) «سنن الترمذي» رقم (٢٧٩٦) وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

بالقاعدة الشرعية ردٌّ لمن أخطأ ، وإيقاظ من الغفلة التي حصلت ، وإذا تأملنا الحادثة الخطيرة التي وقعت بين المهاجرين والأنصار بسبب نار الفتنة التي أوقدها المنافقون ، لوجدنا مثالًا نبويًّا على ذلك ، فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه» : عن جَابِر رَضِيَ الله عَنْهُ قال : غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا ، حَتَّى تَدَاعَوْا ، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ : يَا لَلأَنْصَارِ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ : **«مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ؟!»** ثُمَّ قَالَ : **«مَا شَأْنُهُمْ ؟»** فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ ، قَالَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **«دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ»**[١] .

وفي رواية مسلم : **«وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ»**[٢] .

(٤) تصحيح التصور الذي حصل الخطأ نتيجة لاختلاله :

ففي صحيح البخاري عن حُمَيْدِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ ابْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ : جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا[٣] فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ[٤] ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا ، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ

---

(١) «الفتح» (٣٥١٨) .
(٢) «صحيح مسلم» رقم (٢٥٨٤) .
(٣) أي : رأى كل منهم أنها قليلة .
(٤) أي : أنهم ظنوا بأن من لم يعلم مغفرة ذنوبه يحتاج إلى المبالغة في العبادة أكثر من النبي ﷺ ، رجاء أن تحصل له المغفرة .

رَسُولُ الله ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَالله إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ» .

ورواه مسلم : عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لا آكُلُ اللَّحْمَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ : «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا ، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[١] .

ونلاحظ هنا ما يلي :

أن النبي ﷺ أتاهم فوعظهم في أنفسهم فيما بينه وبينهم ، ولما أراد أن يعلِّم الناس عمومًا أبهمهم ولم يفضحهم ، وإنما قال : **«ما بال أقوام»** ، وهذا رفقًا بهم وسترًا عليهم مع تحصيل المصلحة في الإخبار العام .

في الحديث تتبُّع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم والسير على منوالهم ، وأنَّ التنقيب عن ذلك من كمال العقل ، والسعي في تربية النفس.

وفيه أن الأمور المفيدة والمشروعة إذا تعذَّرت معرفتها من جهة الرجال جاز استكشافها من جهة النساء

وأنه لا بأس بحديث المرء عن عمله إذا أُمِن الرياء ، وكان في الإخبار منفعة للآخرين .

وفيه أنَّ الأخذ بالتشديد في العبادة يؤدي إلى إملال النفس القاطع لها عن أصل العبادة ، وخير الأمور أوساطها[٢] .

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (١٠٤١) .

(٢) انظر «الفتح» (٩/ ١٠٤) .

إن الأخطاء عمومًا تنشأ من خلل في التصورات ، فإذا صلح التصور قلَّت الأخطاء كثيرًا ، وواضح من الحديث أن السبب الذي دفع أولئك الصحابة إلى تلك الصور من التبتُّل والرهبانية والتشديد ؛ هو ظنّهم أن لابد من الزيادة على عبادة النبي ﷺ ، رجاء النجاة حيث أنه أُخبر من ربه بالمغفرة بخلافهم ، فصحح لهم النبي ﷺ تصورهم المجانب للصواب ، وأخبرهم بأنه مع كونه مغفورًا له فإنه أخشى الناس وأتقاهم لله ، وأمرهم بأن يلزموا سنته وطريقته في العبادة .

وقريب من هذا ما حصل لأحد الصحابة وهو كهمس الهلالي ﷺ الذي روى قصته فقال : «أسلمت فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بإسلامي فمكثت حولًا ، وقد ضمرت ونحل جسمي ، ثم أتيته فخفض فيَّ البصر ثمَّ رفعه ، قلت : أما تعرفني ؟ قال : «ومنْ أنتَ ؟» قلت : أنا كَهْمس الهلالي ، قال : «فما بلغَ بكَ ما أرى ؟» قلت : ما أفطرت بعدك نهارًا ولا نمت ليلًا ، فقال : «ومنْ أمركَ أن تعذِّبَ نفسَكَ ؟! صُمْ شهرَ الصبرِ ومِنْ كلِّ شهرٍ يومًا» ، قلتُ : زدني ، قال : «صُمْ شهرَ الصبرِ ومِنْ كلِّ شهرٍ يومينِ» ، قلت : زدني ، أجد قوة ، قال : «صُمْ شهرَ الصبرِ ومِنْ كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ»[1] .

ومن الخلل في التصورات ما يكون متعلقًا بموازين تقويم الأشخاص والنظرة إليهم ، وقد كان النبي ﷺ حريصًا على تصحيح ذلك وبيانه .

ففي «صحيح البخاري» عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ : مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ : «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا ؟» فَقَالَ : رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ ، هَذَا وَالله حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ ،

(١) «مسند الطيالسي» . رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٩٤) رقم (٤٣٥) وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٦٢٣) .

وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ ، قَالَ : فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»(١) .

وفي رواية ابن ماجة : مَرَّ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟» قَالُوا : رَأْيَكَ فِي هَذَا ، نَقُولُ : هَذَا مِنْ أَشْرَفِ النَّاسِ ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُخَطَّبَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا : نَقُولُ وَالله يَا رَسُولَ الله ، هَذَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ لَمْ يُنْكَحْ وَإِنْ شَفَعَ لا يُشَفَّعْ ، وَإِنْ قَالَ لا يُسْمَعْ لِقَوْلِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَهَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»(٢) .

(٥) معالجة الخطأ بالموعظة وتكرار التخويف :

عن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ الله الْبَجَلِيِّ أن رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا ، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ ، قَالَ : وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا الله ، فَقَتَلَهُ فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ ، كَيْفَ صَنَعَ ؟ فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : «لِمَ قَتَلْتَهُ ؟» قَالَ : يَا رَسُولَ الله ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلانًا وَفُلانًا ، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا ، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ :

---

(١) «الفتح» (٦٤٤٧) .

(٢) «سنن ابن ماجة» ط. عبد الباقي رقم (٤١٢٠) .

لا إِلَهَ إِلَّا الله ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَقَتَلْتَهُ ؟» قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلا الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟» قَالَ : يَا رَسُولَ الله ، اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلا الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟» قَالَ : فَجَعَلَ لا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ : «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إِلَهَ إِلا الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟»[1] .

وفي رواية أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي سَرِيَّةٍ ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا ، فَقَالَ : لا إِلَهَ إِلا الله ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَقَالَ لا إِلَهَ إِلا الله وَقَتَلْتَهُ ؟» قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ ، قَالَ : «أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا ؟» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ[2] .

ومما يدخل في مواجهة الخطأ بالموعظة : التذكير بقدرة الله وهذا مثال :

روى مسلم رحمه الله تعالى : عن أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ قال : كُنْتُ أَضْرِبُ غُلامًا لِي بِالسَّوْطِ ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي : «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ ، قَالَ : فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ : «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» قَالَ : فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي .

وفي رواية : فَسَقَطَ مِنْ يَدِي السَّوْطُ مِنْ هَيْبَتِهِ .

فَقَالَ : «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ الله أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلامِ» قَالَ : فَقُلْتُ : لا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا .

---

(١) رواه مسلم ط. عبد الباقي رقم (٩٧) .
(٢) رواه مسلم رقم (٦٩) .

وفي رواية : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله .

فَقَالَ : «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ» أَوْ : «لَمَسَّتْكَ النَّارُ» .

وفي رواية لمسلم أيضًا : فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «وَالله لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ قَالَ فَأَعْتَقَهُ»[١] .

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ : كُنْتُ أَضْرِبُ مَمْلُوكًا لِي ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا مِنْ خَلْفِي يَقُولُ : «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ : «لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ» قَالَ : أَبُو مَسْعُودٍ : فَمَا ضَرَبْتُ مَمْلُوكًا لِي بَعْدَ ذَلِكَ[٢] .

(٦) إظهار الرحمة بالمخطئ :

وهذا يكون في حال من يستحقُّ ممن عَظُم ندمه ، واشتد أسفه ، وظهرت توبته ، مثلما يقع أحيانًا من بعض المستفتين ، كما في مثل هذه القصة :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَدْ ظَاهَرَ مِنِ امْرَأَتِهِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي قَدْ ظَاهَرْتُ مِنْ زَوْجَتِي فَوَقَعْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ أُكَفِّرَ ، فَقَالَ : «وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ يَرْحَمُكَ الله ؟» قَالَ : رَأَيْتُ خَلْخَالَهَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ ، قَالَ : «فَلا تَقْرَبْهَا حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ الله بِهِ»[٣] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، هَلَكْتُ ، قَالَ : «مَا لَكَ ؟» قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟» قَالَ : لا ، قَالَ : «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟» قَالَ :

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (١٦٥٩) .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٩٤٨) قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٣) قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ «سنن الترمذي» رقم (١١٩٩) .

لَا ، فَقَالَ : «**فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟**» قَالَ : لا ، قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ ، أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ ، وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ ، قَالَ : «**أَيْنَ السَّائِلُ ؟**» فَقَالَ : أَنَا ، قَالَ : «**خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ**» فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ الله ؟ فَوَالله مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا ، يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ ، أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : «**أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ**»(١) .

إن هذا المستفتي المخطئ لم يكن هازلًا ولا مستخفًا بالأمر ، بل إن تأنيبه نفسه وشعوره بخطئه واضح من قوله : «هلكت» ، ولذلك استحق الرحمة .

ورواية أحمد رحمه الله فيها مزيد من التوضيح لحال الرجل عند مجيئه مستفتيًا : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَيَنْتِفُ شَعَرَهُ ، وَيَقُولُ : مَا أُرَانِي إلا قَدْ هَلَكْتُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : «**وَمَا أَهْلَكَكَ ؟**» قَالَ : أَصَبْتُ أَهْلِي فِي رَمَضَانَ ، قَالَ : «**أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْتِقَ رَقَبَةً ؟**» قَالَ : لا ، قَالَ : «**أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟**» قَالَ : لا ، قَالَ : «**أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟**» قَالَ : لا ، وَذَكَرَ الْحَاجَةَ ، قَالَ : فَأُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِزِنْبِيلٍ ، وَهُوَ الْمِكْتَلُ ، فِيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ صَاعًا ، أَحْسَبُهُ تَمْرًا ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَيْنَ الرَّجُلُ ؟**» قَالَ : «**أَطْعِمْ هَذَا**» قَالَ : يَا رَسُولَ الله ، مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا أَحَدٌ أَحْوَجُ مِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ ، قَالَ : فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ، قَالَ : «**أَطْعِمْ أَهْلَكَ**»(٢) .

(٧) عدم التسرع في التخطئة :

وقد حدثت لعمر ﷺ قصة رواها بنفسه فقال : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَاسْتَمَعْتُ

(١) رواه البخاري «فتح» (١٩٣٦) .
(٢) «المسند» (٢/ ٥١٦) «الفتح الرباني» (١٠/ ٨٩) .

لِقِرَاءَتِهِ ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ ، فَقُلْتُ : مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ ؟ قَالَ : أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَقُلْتُ : كَذَبْتَ ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«أَرْسِلْهُ ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ»** فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»** ثُمَّ قَالَ : **«اقْرَأْ يَا عُمَرُ»** فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»**(١) .

ومن الفوائد التربوية في هذه القصة ما يلي :

* أمْر كل واحد منهما أن يقرأ أمام الآخر مع تصويبه ، أبلغ في تقرير صوابهما وعدم خطأ أيٍّ منهما .

* أمْر النبي ﷺ عمر بإطلاق هشام بقوله : **«أرسله يا عمر»**(٢) فيه تهيئة الخصمين للاستماع وهما في حال الهدوء ، وفيه إشارة إلى استعجال عمر رضي الله عنه .

* على طالب العلم أن لا يستعجل بتخطئة من حكى قولًا يخالف ما يعرفه ، إلَّا بعد التثبت ، فربما يكون ذلك القول قولًا معتبرًا من أقوال أهل العلم .

ومما يتعلق بهذا الموضوع أيضًا : عدم التسرع في العقوبة وفي القصة التالية شاهد :

---

(١) رواه البخاري «الفتح» (٤٩٩٢) .
(٢) كما في رواية الترمذي للقصة «صحيح الترمذي» (١٦/٣) .

روى النسائي رحمه الله : عَنْ عَبَّادِ بْنِ شُرَحْبِيلَ ﷺ قَالَ : قَدِمْتُ مَعَ عُمُومَتِي الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِهَا ، فَفَرَكْتُ مِنْ سُنْبُلِهِ ، فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ فَأَخَذَ كِسَائِي وَضَرَبَنِي ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَسْتَعْدِي عَلَيْهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ فَجَاءُوا بِهِ ، فَقَالَ : **«مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟»** فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّهُ دَخَلَ حَائِطِي فَأَخَذَ مِنْ سُنْبُلِهِ فَفَرَكَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«مَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا ، وَلا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا ، ارْدُدْ عَلَيْهِ كِسَاءَهُ»** وَأَمَرَ لِي رَسُولُ الله ﷺ بِوَسْقٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ(١) .

يُستفاد من هذه القصّة أنَّ معرفة ظروف المخطئ أو المتعدي يوجِّه إلى الطريقة السليمة في التعامل معه .

وكذلك يُلاحظ أن النبي ﷺ لم يُعاقب صاحب البستان ؛ لأنه صاحب حقٍّ ، وإنما خطَّأه في أسلوبه ونبهه بأنَّ تصرّفه مع من يجهل لم يكن بالتصرّف السليم في مثل ذلك الموقف ، ثمَّ أرشده إلى التصرُّف الصحيح ، وأمره بردِّ ما أخذه من ثياب الجائع .

(٨) الهدوء في التعامل مع المخطئ :

وخصوصًا عندما يؤدي القيام عليه والاشتداد في نهيه إلى توسيع نطاق المفسدة ، ويمكن أن نتبين ذلك من خلال مواجهة النبي ﷺ لخطأ الأعرابي الذي بال في المسجد ، كما جاء عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ : مَهْ مَهْ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«لا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ»** فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَعَاهُ ، فَقَالَ لَهُ : **«إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ ، إِنَّمَا هِيَ**

---

(١) النسائي «المجتبى» : كتاب آداب القضاة ، باب : الاستعداء ، وهو في «صحيح سنن النسائي» رقم (٤٩٩٩) .

لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ : فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ[1] .

لقد كانت القاعدة التي اتبعها النبي ﷺ في مواجهة الخطأ ؛ التيسير وعدم التعسير ، فقد جاء في رواية البخاري عن أبي هريرة ﷺ : أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[2] .

لقد تحمَّس الصحابة رضوان الله عليهم لإنكار المنكر حرصًا على طهارة مسجدهم ، وروايات الحديث تدلّ على ذلك ومنها : -

«فصاح به الناس» ، «فثار إليه الناس» ، «فزجره الناس» ، «فأسرع إليه الناس» وفي رواية : فقال أصحاب رسول الله ﷺ : «مه مه»[3] .

ولكن النبي ﷺ نظر في عواقب الأمور ، وأن الأمر يدور بين احتمالين ، إما أن يُمنع الرجل وإما أن يُترك ، وأنه لو مُنع فإما أن ينقطع البول فعلًا فيحصل على الرجل ضرر من احتباس بوله ، وإما أن لا ينقطع ويتحرك خوفًا منهم ، فيزداد انتشار النجاسة في المسجد أو على جسد الرجل وثيابه ، فرأى النبي ﷺ بثاقب نظره أن ترك الرجل يبول هو أدنى المفسدتين ، وأهون الشرين ، خصوصًا وأن الرجل قد شرع في المفسدة ، والنجاسة يمكن تداركها بالتطهير ، ولذلك قال لأصحابه : «دعوه لا تُزرموه» أي : لا تحبسوه ، فأمرهم بالكفّ لأجل المصلحة الراجحة ، وهو دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما ، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما .

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٢٨٥) .
(٢) «فتح» (٦١٢٨) .
(٣) «جامع الأصول» (٧/ ٨٣-٨٧) .

وقد جاء في رواية أنه ﷺ سأل الرجل عن سبب فعله ، فقد روى الطبراني في «الكبير» : عن ابن عباس ﷺ قال : أتى النبي ﷺ أعرابي فبايعه في المسجد ، ثم انصرف فقام ففحج ثم بال فهمَّ الناس به ، فقال النبي ﷺ : «لا تقطعُوا على الرجلِ بولَه» ، ثم قال : «ألست بمسلم ؟» قال : بلى ، قال : «مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ بُلْتَ في مَسْجِدِنَا ؟» قال : والذي بعثك بالحقِّ ما ظننته إلا صعيدًا من الصعدات فبلت فيه . فأمر النبي ﷺ بذنوب من ماء فصبَّ على بوله[1] .

إن هذا الأسلوب الحكيم في المعالجة قد أحدث أثرًا بالغًا في نفس ذلك الأعرابي ، يتضح من عبارته كما جاء في رواية ابن ماجة : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ ، فَقَالَ : اللهمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمُحَمَّدٍ وَلا تَغْفِرْ لأَحَدٍ مَعَنَا ، فَضَحِكَ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ : «لَقَدِ احْتَظَرْتَ وَاسِعًا» ثُمَّ وَلَّى حَتَّى إِذَا كَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَشَجَ[2] يَبُولُ فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَقِهَ : فَقَامَ إِلَيَّ بِأَبِي وَأُمِّي فَلَمْ يُؤَنِّبْ وَلَمْ يَسُبَّ ، فَقَالَ : «إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لا يُبَالُ فِيهِ ، وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ الله وَلِلصَّلاةِ» ثُمَّ أَمَرَ بِسَجْلٍ مِنْ مَاءٍ فَأُفْرِغَ عَلَى بَوْلِهِ[3] .

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى فوائد في شرح حديث الأعرابي منها :

* الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ، إذا لم يكن ذلك منه عنادًا ، ولا سيما إن كان ممن يُحتاج إلى استئلافه .

* وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه .

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٥٥٢) ج١١ص٢٢٠ ، وقال الهيثمي في «المجمع» : رجاله رجال الصحيح (٢/ ١٠) .

(٢) فرَّج ما بين رجليه .

(٣) «سنن ابن ماجة» ط. عبد الباقي (٥٢٩) وهو في «صحيح ابن ماجة» (٤٢٨) .

* وفيه أن الاحتراز من النجاسة كان مقررًا في نفوس الصحابة ، ولهذا بادروا إلى الإنكار بحضرته ﷺ قبل استئذانه ، ولما تقرر عندهم أيضًا من طلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* وفيه المبادرة إلى إزالة المفاسد عند زوال المانع ؛ لأمرهم عند فراغه بصبِّ الماء[1] .

(٩) بيان خطورة الخطأ :

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ، ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء ، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ، فقال عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ ، وقد ارتحل وركب ناقته فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق ، قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ ، وإن الحجارة لتنكب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول رسول الله ﷺ : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: الآية ٦٥] وما يلتفت إليه وما يزيد عليه .

ورواه ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء ، فقال رجل في المجلس : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر :

(١) «الفتح» (١/ ٣٢٤-٣٢٥) .

فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله ﷺ يقول : ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: الآية ٦٥] [١] .

(١٠) بيان مضرة الخطأ :

عن أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ قَالَ : كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ» فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، حَتَّى يُقَالَ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ [٢] .

ويُلاحظ رعاية النبي ﷺ لأصحابه ، وفيه حرص القائد على مصلحة جنوده .

وأن تفرُّق الجيش إذا نزل فيه تخويف الشيطان للمسلمين وإغراء للعدو بهم [٣] .

والتفرق يمنع بعض الجيش من معونة بعض [٤] .

ويُلاحظ امتثال أصحاب النبي ﷺ لتوجيهه فيما استقبلوا من أمرهم .

---

(١) «تفسير ابن جرير الطبري» (١٤/ ٣٣٣) ط. دار الكتب العلمية . الأولى ١٤١٢ ، ورجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد ، فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد ، كما في «الميزان» ، وأخرجه الطبري من طريقه ، وله شاهد بسند حسن عند ابن حاتم من حديث كعب بن مالك . «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص- ٧١ .

(٢) رواه أبو داود رحمه الله تعالى في «سننه» (٢٢٨٦) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» برقم (٢٢٨٨) .
وفي رواية : «حَتَّى إِنَّكَ لَتَقُولُ : لَوْ بَسَطْتُ عَلَيْهِمْ كِسَاءً لَعَمَّهُمْ» أحمد : «الفتح الرباني» (١٤/ ٤٤) .

(٣) انظر : «عون المعبود» (٧/ ٢٩٢) .

(٤) انظر : «دليل الفالحين» (٦/ ١٣٠) .

ومن الأمثلة أيضًا على بيان مضرة الخطأ وخطورته ، حديث النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»(١) .

وفي صحيح مسلم : عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ ابن بَشِير يَقُولُ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ ، حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ ، فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ ، فَقَالَ : «عِبَادَ اللهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»(٢) .

وروى النسائي : عن أنس ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ : «رَاصُّوا صُفُوفَكُمْ وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنِّي لأَرَى الشَّيَاطِينَ تَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ(٣)»(٤) .

فتبيين مفاسد الخطأ وما يترتب عليه من العواقب ؛ أمر مهم في الإقناع للمخطئ ، وقد تكون عاقبة الخطأ على المخطئ نفسه ، وقد تتعدى إلى آخرين .

فمن الأول : ما رواه أبو داود رحمه الله تعالى في «سننه» : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا لَعَنَ الرِّيحَ ، وَقَالَ مُسْلِمٌ(٥) : إِنَّ رَجُلًا نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَعَنَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لا تَلْعَنْهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ ، رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ»(٦) .

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» «فتح» رقم (٧١٧) .
(٢) «صحيح مسلم» رقم (٤٣٦) .
(٣) أي : الغنم السود الصغار .
(٤) «المجتبى» (٢/ ٩٢) صححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» برقم (٧٨٥) .
(٥) أي : مسلم بن إبراهيم شيخ أبي داود .
(٦) أبو داود رقم (٤٩٠٨) وهو في «صحيح أبي داود» رقم (٤١٠٢) .

ومثال الثاني : ما رواه البخاري رحمه الله في «صحيحه» : عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ[1] فَقَالَ : «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا ثُمَّ قَالَ : «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ : أَحْسِبُ فُلانًا وَاللهُ حَسِيبُهُ ، وَلا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا ، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا ؛ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ»[2] .

عن محجن الأسلمي ﷺ في قصة له قال : حتى إذا كنا في المسجد رأى رسول الله ﷺ رجلًا يصلي ويسجد ويركع فقال لي رسول الله ﷺ : «مَنْ هَذَا ؟» فأخذت أُطريه فقلت : يا رسول الله ، هذا فلان وهذا وهذا .

وفي رواية في «الأدب المفرد» أيضًا : هذا فلان وهو من أحسن أهل المدينة صلاة.

فقال : «أَمْسِكْ ، لا تُسْمِعْهُ فَتُهْلِكَهُ»[3] .

وفي رواية للبخاري : عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ : سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي مَدْحِهِ فَقَالَ : «أَهْلَكْتُمْ» أَوْ «قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ»[4] .

فقد بيَّن النبي ﷺ هنا لهذا المبالغ في المدح المخطئ فيه عاقبة خطئه ، وذلك أن الزيادة في الإطراء تُدخل في قلب الممدوح الغرور فيتيه بنفسه كبرًا أو إعجابًا ، وربما يَفتُر عن العمل متواكلًا على الشهرة الآتية من المدح ، أو يقع في الرياء لما يحسُّه من لذة المدح ؛ فيكون

---

(١) وفي رواية لمسلم : فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ مَا مِنْ رَجُلٍ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي كَذَا وَكَذَا . «صحيح مسلم» رقم (٣٠٠٠) .

(٢) (٢٦٦٢) كتاب الشهادات ، وفي رواية البخاري في «الأدب المُفرد» .

(٣) «صحيح الأدب المفرد» (١٣٧) وقال الألباني : حسن .

(٤) «فتح» (٢٦٦٣) .

في ذلك هلاكه وهو ما عبَّر عنه ﷺ بقوله : «أهلكتم» أو «قطعتم عنق الرجل» أو «ظهر الرجل» .

ثم إن المادح قد يجازف في المدح ويقول ما لايتحققه ويجزم بما لا يستطيع الاطلاع عليه ، وقد يكذب ، وقد يرائي الممدوح بمدحه ؛ فتكون الطامة لاسيما إن كان الممدوح ظالمًا أو فاسقًا[(١)] .

والمدح ليس منهيًّا عنه بإطلاق ، وقد مدح النبي ﷺ أشخاصًا وهم حضور ، وقد جاء في عنوان الباب في «صحيح مسلم» إيضاح مهم : بَاب النَّهْيِ عَنِ الْمَدْحِ إِذَا كَانَ فِيهِ إِفْرَاطٌ وَخِيفَ مِنْهُ فِتْنَةٌ عَلَى الْمَمْدُوحِ[(٢)] .

والذي يعدُّ نفسه مقصِّرًا لا يضره المدح ، وإذا مُدح لم يغتر ؛ لأنه يعرف حقيقة نفسه ، قال بعض السلف : إذا مُدح الرجل في وجهه فليقل : «اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيرًا مما يظنون»[(٣)] .

(١١) تعليم المخطئ عمليًا :

في كثير من الأحيان يكون التعليم العملي أقوى وأشد أثرًا من التعليم النظري ، وقد فعل ذلك النبي ﷺ ، فقد روى جبير بن نفير عن أبيه أنه قدم على رسول الله ﷺ ، فأمر له بوَضوء فقال : «تَوَضَّأْ يَا أَبَا جُبَيْرٍ» ، فبدأ أبو جبير بفيه ، فقال له رسول الله ﷺ : «لَا تَبْتَدِئْ بِفِيكَ يَا أَبَا جُبَيْرٍ فَإِنَّ الكَافِرَ يَبْتَدِئُ بِفِيهِ» ، ثُمَّ دَعَا رسولُ اللهِ ﷺ بوَضوءٍ ، فَغَسَلَ كَفَّيْهِ حتَّى أَنْقَاهُمَا ثُمَّ تَمَضْمَضَ واسْتَنْشَقَ ثَلاثًا وَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثًا وَغَسَلَ يَدَهُ

---

(١) انظر : «الفتح» (١٠/٤٧٨) .
(٢) كتاب الزهد والرقائق «صحيح مسلم» .
(٣) «فتح» (١٠/ ٤٧٨) .

اليُمْنَى إلى المِرفَقْ ثَلاثًا واليُسْرَى ثَلاثًا وَمَسَحَ رَأْسَهُ وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ[١] .

والملاحظ هنا أن النبي ﷺ عمد إلى تنفير ذلك الصحابي من فعله المجانب للصواب عندما أخبره أن الكافر يبدأ بفيه ، ولعل المعنى : أن الكافر لا يغسل كفيه قبل إدخالهما في الإناء[٢] . وهذا من عدم المحافظة على النظافة ، والله أعلم .

(١٢) تقديم البديل الصحيح :

عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود قَالَ : كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلاةِ قُلْنَا : السَّلامُ عَلَى الله مِنْ عِبَادِهِ ، السَّلامُ عَلَى فُلانٍ وَفُلانٍ[٣]»[٤] . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لا تَقُولُوا السَّلامُ عَلَى الله ، فَإِنَّ الله هُوَ السَّلامُ ، وَلَكِنْ قُولُوا : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ ؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ» أَوْ «بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو»[٥] .

ومن هذا الباب أيضًا ما روى أَنَس ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ : «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ» أَوْ «إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ، فَلا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ : أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا»[٦] .

---

(١) رواه البيهقي في «السنن» (١/٤٦) وهو في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨٢٠) .
(٢) أفادنيه العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز عندما سألته عن شرح الحديث .
(٣) وفي رواية النسائي : «السلام على جبريل السلام على ميكائيل» .
(٤) «المجتبى» : كتاب التطبيق : باب كيف التشهد الأول ، وهو في «صحيح سنن النسائي» رقم (١١١٩) .
(٥) رواه البخري» «فتح» (٨٣٥) .
(٦) رواه البخاري «فتح» (٤٠٥) .

وفي رواية : «لا يَتْفِلَنَّ أَحدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلا عَنْ يَمِينِهِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ رِجْلِهِ»[١] .

ومثال آخر : عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : جَاءَ بِلالٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِتَمْرٍ بَرْنِيٍّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «مِنْ أَيْنَ هَذَا ؟» قَالَ بِلالٌ : كَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ رَدِيٌّ ، فَبِعْتُ مِنْهُ صَاعَيْنِ بِصَاعٍ ؛ لِنُطْعِمَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ : «أَوَّهْ أَوَّهْ ، عَيْنُ الرِّبَا ، عَيْنُ الرِّبَا ، لا تَفْعَلْ ، وَلَكِنْ إِذا أَرَدْتَ أَنْ تَشْتَرِيَ فَبِعِ التَّمْرَ بِبَيْعٍ آخَرَ ثُمَّ اشْتَرِهِ»[٢] .

وفي رواية : أَنَّ غُلامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ أَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ بِتَمْرٍ رَيَّانَ ، وَكَانَ تَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْلًا فِيهِ يُبْسٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَنَّى لَكَ هَذَا التَّمْرُ ؟» فَقَالَ : هَذَا صَاعٌ اشْتَرَيْنَاهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ تَمْرِنَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لا تَفْعَلْ فَإِنَّ هَذَا لا يَصْلُحُ ، وَلَكِنْ بِعْ تَمْرَكَ وَاشْتَرِ مِنْ أَيِّ تَمْرٍ شِئْتَ»[٣] .

والذي نجده في واقع بعض الدعاة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر قصورًا في دعوتهم عند إنكار بعض أخطاء الناس ، وذلك بالاكتفاء بالتخطئة وإعلان الحرمة دون تقديم البديل ، أو بيان ما هو الواجب فعله إذا حصل الخطأ ، ومعلوم من طريقة الشريعة أنها تقدِّم البدائل عوضًا عن أي منفعة محرمة ، فلما حرَّمت الزنا شرعت النكاح ، ولما حرَّمت الربا أباحت البيع ، ولما حرَّمت الخنزير والميتة وكلَّ ذي ناب ومخلب أباحت الذبائح من بهيمة الأنعام وغيرها ، وهكذا ، ثمَّ لو وقع الشخص في أمر محرَّم فقد أوجدت له الشريعة المخرج بالتوبة والكفارة كما هو مبيَّن في نصوص الكفارات ، فينبغي على الدعاة أن يحذوا حذو الشريعة في تقديم البدائل وإيجاد المخارج

(١) رواه البخاري «الفتح» (٤١٢) .
(٢) رواه البخاري «فتح» (٢٣١٢) .
(٣) «مسند أحمد» (٣/٦٧) .

الشرعية ، من الأمثلة لتقديم البديل ذكر الحديث الصحيح الذي يُغني عن الحديث الضعيف أو الموضوع .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مسألة تقديم البديل هي بحسب الإمكان والقدرة ، فقد يكون الأمر أحيانًا خطأ يجب الامتناع عنه ولا يوجد في الواقع بديل مناسب إما لفساد الحال وبعد الناس عن شريعة الله ، أو أن الآمر الناهي لا يستحضر شيئًا ، أو ليس لديه إلمام بالبدائل الموجودة في الواقع ، فهو سينكر ويُغيِّر الخطأ ولو لم يوجد لديه بديل يقوله ويوجِّه إليه ، وهذا يقع كثيرًا في بعض التعاملات المالية وأنظمة الاستثمار التي نشأت في مجتمعات الكفار ونُقلت بما هي عليه من المخالفات الشرعية إلى مجتمعات المسلمين ، وفي المسلمين من القصور والضعف ما يحول دون إيجاد البديل الشرعي وتعميمه ، ولكن يبقى الحال أن ذلك قصور ونقص وأن المنهج الإلهي فيه البدائل والمخارج التي ترفع الحرج والعنت عن المسلمين ، علمها من علمها وجهلها من جهلها .

(١٣) الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الخطأ :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشِعْبِ الْخَزَّارِ مِنَ الْجُحْفَةِ اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَكَانَ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَخُو بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ[١] ، فَلُبِطَ سَهْلٌ[٢] ، فَأُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ الله ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ ؟ وَالله مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَمَا يُفِيقُ ، قَالَ : «**هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ ؟**» قَالُوا : نَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَدَعَا

---

(١) المخبأة : هي الفتاة في خدرها وهو كناية عن شدة بياضه .

(٢) أي : صُرع وسقط على الأرض .

رَسُولُ الله ﷺ عَامِرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : «عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ، هَلا إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ» ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : «اغْتَسِلْ لَهُ» فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ ، ثُمَّ صُبَّ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَيْهِ ، يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ يُكْفِئُ الْقَدَحَ وَرَاءَهُ ، فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ»[1] .

وفي رواية مالك رحمه الله : عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ : اغْتَسَلَ أَبِي سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ بِالْخَرَّارِ ، فَنَزَعَ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ يَنْظُرُ ، قَالَ : وَكَانَ سَهْلٌ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِلْدِ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ : عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلا جِلْدَ عَذْرَاءَ ، قَالَ : فَوُعِكَ سَهْلٌ مَكَانَهُ وَاشْتَدَّ وَعْكُهُ ، فَأُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ فَأُخْبِرَ أَنَّ سَهْلًا وُعِكَ وَأَنَّهُ غَيْرُ رَائِحٍ مَعَكَ يَا رَسُولَ الله ، فَأَتَاهُ رَسُولُ الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ سَهْلٌ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ عَامِرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ، أَلا بَرَّكْتَ ؟ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ ، تَوَضَّأْ لَهُ ، فَتَوَضَّأَ لَهُ عَامِرٌ ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ»[2] .

وقد تضمنت هذه القصة :

* تغيظ المربي على من تسبب في إيذاء أخيه المسلم .
* بيان مضرة الخطأ وأنه ربما يؤدي إلى القتل .
* الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الضرر وإيذاء المسلم .

(١٤) عدم مواجهة بعض المخطئين بالخطأ والاكتفاء بالبيان العام :

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَا بَالُ أَقْوَامٍ

---

(١) «المسند» (٣/ ٤٨٦) وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح «المجمع» (٥/ ١٠٧).
(٢) «الموطأ» رقم الحديث (١٩٧٢) .

يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ» فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ : «لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ»[(١)] .

ولما أرادت عَائِشَةَ رضي الله عنها شراء جارية اسمها : بريرة ، رفض أهلها بيعها إلا بشرط أن يَكُونَ الْوَلاءُ لَهُمْ ، فلما علم النبي ﷺ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : «مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ الله ، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ الله فَهُوَ بَاطِلٌ ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ ، قَضَاءُ الله أَحَقُّ ، وَشَرْطُ الله أَوْثَقُ ، وَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ»[(٢)] .

وعن عَائِشَةُ رضي الله عنها قالت : صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ الله ثُمَّ قَالَ : «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ ، فَوَالله إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِالله وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[(٣)] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : «مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ ؟ فَإِذَا تَنَخَّعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَخَّعْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا» وَوَصَفَ الْقَاسِمُ : فَتَفَلَ فِي ثَوْبِهِ ثُمَّ مَسَحَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ[(٤)] .

وروى النسائي في «سننه» : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَقَرَأَ : «الرُّومَ» فَالْتَبَسَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ : «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُصَلُّونَ مَعَنَا لا يُحْسِنُونَ الطُّهُورَ ، فَإِنَّمَا يَلْبِسُ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ أُولَئِكَ»[(٥)] .

---

(١) رواه البخاري «فتح» حديث رقم (٧٥٠) .
(٢) القصة رواها البخاري رحمه الله تعالى في مواضع متعددة من «صحيحه» ، انظر : «فتح» (٥٦٣٦) .
(٣) «فتح» (٦١٠١) .
(٤) «صحيح مسلم» رقم (٥٥٠) .
(٥) «سنن النسائي» «المجتبى» (٢/ ١٥٦) .

والأمثلة كثيرة ويجمعها عدم فضح صاحب الخطأ ، وأسلوب التعريض بالمخطئ وعدم مواجهته له فوائد منها :

١- تجنُّب ردِّ الفعل السلبي للمخطئ ، وإبعاده عن تزيين الشيطان له بالانتقام الشخصي والانتصار للنفس .

٢- أنه أكثر قبولًا وتأثيرا في النفس .

٣- أنه أستر للمخطئ بين الناس .

٤- ازدياد منزلة المربي وزيادة المحبة للناصح .

وينبغي الانتباه إلى أنَّ : أسلوب التعريض هذا لإيصال الحكم إلى المخطئ دون فضحه وإحراجه إنما يكون إذا كان أمر المخطئ مستورًا لا يعرفه أكثر الناس ، أما إذا كان أكثر الحاضرين يعرفونه وهو يعلم بذلك ؛ فإن الأسلوب حينئذ قد يكون أسلوب تقريع وتوبيخ وفضح بالغ السوء والمضايقة للمخطئ ؛ بل إنه ربما يتمنى لو أنه ووجه بخطئه ولم يُستعمل معه ذلك الأسلوب .

ومن الأمور المؤثرة فرْقًا : من هو الذي يوجِّه الكلام ؟ وبحضرة من يكون الكلام ؟ وهل كان بأسلوب الإثارة والاستفزاز أم بأسلوب

= رجاله ثقات وعبد الملك بن عمير قال عنه الحافظ : ثقة عالم ، تغير حفظه وربما دلَّس .
ورواه أحمد رحمه الله تعالى : عَنْ أَبِي رَوْحٍ الْكَلَاعِيِّ قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلاةً فَقَرَأَ فِيهَا : سُورَةَ «الرُّومِ» فَلَبَسَ عَلَيْهِ بَعْضُهَا ، قَالَ : «إِنَّمَا لَبَسَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ الْقِرَاءَةَ مِنْ أَجْلِ أَقْوَامٍ يَأْتُونَ الصَّلاةَ بِغَيْرِ وُضُوءٍ ، فإذا أتيتم الصلاةَ فَأَحْسِنُوا الْوُضُوءَ» .
وكذلك رواه عن شعبة عن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ شَبِيبًا أَبَا رَوْحٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّهُ صَلَّى الصُّبْحَ فَقَرَأَ فِيهَا : «الرُّومَ» فَأَوْهَمَ فَذَكَرَهُ .
ورواه رحمه الله أيضًا عن زائدة وسفيان عن عبد الملك المسند ٣/ ٤٧٣ .

النصح والإشفاق ؟

فالأسلوب غير المباشر أسلوب تربوي نافع للمخطئ ولغيره إذا استُعمل بحكمة .

(١٥) إثارة العامة على المخطئ :

وهذا يكون في أحوال معينة ، وينبغي أن يوزن وزنًا دقيقًا حتى لا تكون له مضاعفات سلبية ، وفيما يلي مثال نبوي لهذه الوسيلة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ : اذْهَبْ فَاصْبِرْ ، فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا فَقَالَ : اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ ، فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ ؛ فَعَلَ الله بِهِ ، وَفَعَلَ ، وَفَعَلَ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ : لَهُ ارْجِعْ لا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ»[١] .

ويقابل هذا الأسلوب أسلوب آخر يُستخدم في أحوال أخرى ، ومع أشخاص آخرين في حماية المخطئ من إيذاء العامة ، ويبينه الفقرة التالية :

(١٦) تجنب إعانة الشيطان على المخطئ :

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ : عَبْدَ الله وَكَانَ يُلَقَّبُ : حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله ﷺ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : اللهمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **«لا تَلْعَنُوهُ ، فَوَالله مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ»**[٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ ، فَمِنَّا

---

(١) رواه أبو داود كتاب الأدب باب : في حق الجوار رقم ٥١٥٣ وهو في «صحيح أبي داود» (٤٢٩٢) .

(٢) رواه البخاري «فتح» (٦٧٨٠) .

مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ : مَا لَهُ أَخْزَاهُ الله ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«لا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ»** (١) .

وعَنْهُ ﷺ قال : أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ ، قَالَ : **«اضْرِبُوهُ»** قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : أَخْزَاكَ الله ، قَالَ : فقال رسول الله ﷺ : **«لا تَقُولُوا هَكَذَا ، لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيطَانَ»** (٢) .

وفي رواية : ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِهِ : **«بَكِّتُوهُ»** فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَقُولُونَ : مَا اتَّقَيْتَ الله ، مَا خَشِيتَ الله ، وَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ : **«وَلَكِنْ قُولُوا : اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللهمَّ ارْحَمْهُ»** وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ الْكَلِمَةَ وَنَحْوَهَا (٣) .

وفي رواية : فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : أَخْزَاكَ الله ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«لا تَقُولُوا هَكَذَا ، لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيطَانَ ، وَلَكِنْ قُولُوا : رَحِمَكَ الله»** (٤) .

ويستفاد من مجموع هذه الروايات : أنَّ المسلم وإن وقع في معصية فإنه يبقى معه أصل الإسلام ، وأصل المحبة لله ورسوله ، فلا يجوز أن يُنفى عنه ذلك ، ولا أن يُدعى عليه بما يعين عليه الشيطان ؛ بل يُدعى له بالهداية والمغفرة والرحمة .

---

(١) رواه البخاري «فتح» (٦٧٨١) .
(٢) البخاري «فتح» (٦٧٧٧) .
(٣) «أبو داود» كتاب الحدود ، باب الحد في الخمر رقم (٤٤٧٨) ، (٤/ ٦٢٠) ، صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» برقم (٣٧٥٩) .
(٤) رواه أحمد ٢/ ٣٠٠ قال أحمد شاكر : إسناده صحيح «المسند» ت. أحمد شاكر رقم ٧٩٧٣ .

(١٧) طلب الكف عن الفعل الخاطئ :

من الأهمية بمكان إيقاف المخطئ عن الاستمرار في الخطأ ؛ حتى لا يزداد سوءًا ، وحتى يحصل القيام بإنكار المنكر ، ولا يتأخر . عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ : لا وَأَبِي فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَهْ[1] إِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ الله فَقَدْ أَشْرَكَ»[2] .

وروى أبو داود في «سننه» : عن عَبْدِ الله بْنِ بُسْرٍ ﷺ قال : جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ» .

وروى الترمذي : عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : «كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3] .

ففي هذه الأحاديث الطلب المباشر من المخطئ بالكفّ والامتناع عن فعله .

(١٨) إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه :

وقد كان ذلك من النبي ﷺ بعدة أساليب منها :

* محاولة لفت نظر المخطئ إلى خطئه ليقوم بتصحيحه بنفسه :

ومن الأمثلة على ذلك : ما رواه أَبو سَعِيدٍ الخدري ﷺ وكان مَعَ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ : فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا جَالِسًا وَسَطَ الْمَسْجِدِ مُشَبِّكًا بَيْنَ أَصَابِعِهِ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَفْطِنْ ،

---

(١) «مه» : كلمة زجر وإنكار بمعنى : اكفف .
(٢) رواه الإمام أحمد (١/٤٧) وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح رقم (٣٢٩) .
(٣) قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ «سنن الترمذي» رقم (٢٤٧٨) وهو في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٤٣) .

قَالَ : فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَقَالَ : «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلا يُشَبِّكَنَّ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ؛ فَإِنَّ التَّشْبِيكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَزَالُ فِي صَلاةٍ مَا دَامَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ»(١) .

* طلب إعادة الفعل على الوجه الصحيح إذا كان ذلك ممكنًا :

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ، فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : «وَعَلَيْكَ السَّلامُ ، ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ، فَرَجَعَ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ : «وَعَلَيْكَ السَّلامُ ، فَارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا ، عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ : «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاتِكَ كُلِّهَا»(٢) .

ومن الملاحظ :

- أن النبي ﷺ كان ينتبه لأفعال الناس من حوله كي يعلمهم ، وقد وقع في رواية النسائي : أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى وَرَسُولُ الله ﷺ يَرْمُقُهُ وَنَحْنُ لا نَشْعُرُ ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ : «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»(٣) . . .

فمن صفة المربي أن يكون يقظًا لأفعال من معه .

- إن من الحكمة في التعليم طلب إعادة الفعل من المخطئ لعله يتنبه

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٥٤) وقال الهيثمي في «المجمع» : إسناده حسن (٢/ ٢٥) .

(٢) رواه الجماعة ، واللفظ للبخاري «فتح» (٦٢٥١) .

(٣) الحديث (٢/ ١٩٣) «صحيح سنن النسائي» رقم (١٠٠٨) .

إلى خطئه فيصححه بنفسه ، خصوصًا إذا كان الخطأ ظاهرًا لا ينبغي أن يحدث منه وربما يكون ناسيًا فيتذكر .

- إن المخطئ إذا لم يتنبه إلى خطئه وجب البيان والتفصيل .

- إن إعطاء المعلومة للشخص إذا اهتم بمعرفتها وسأل عنها وتعلقت بها نفسه ، أوقع أثرًا في حسّه وأحفظ في ذهنه من إعطائه إياها ابتداءً دون سؤال ولا تشوُّف .

* إن وسائل التعليم كثيرة يختار منها المربي ما يُناسب الحال والظرف .

ومن أمثلة طلب إعادة الفعل الخاطئ على الوجه الصحيح أيضًا : ما رواه مسلم رحمه الله تعالى في «صحيحه» : عَنْ جَابِرٍ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفُرٍ عَلَى قَدَمِهِ ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : «ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ» فَرَجَعَ ثُمَّ صَلَّى[1] .

ومثال ثالث فيما رواه الترمذي رحمه الله تعالى في «سننه» : عن كَلَدَةَ بْنَ حَنْبَلٍ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ بَعَثَهُ بِلَبَنٍ وَلِبَإٍ وَضَغَابِيسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِأَعْلَى الْوَادِي ، قَالَ : فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «ارْجِعْ فَقُلْ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ ؟»[2] .

* **طلب تدارك ما أمكن لتصحيح الخطأ :**

فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه» : عن ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً ، وَاكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا

(١) «صحيح مسلم» (٢٤٣) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٧١٠) قال الترمذي : حديث حسن غريب .

وضغابيس : هو حشيش يؤكل ، والحديث في «صحيح سنن الترمذي» رقم (٢١٨٠) .

وَكَذَا ، قَالَ : «ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»[١] .

* إصلاح آثار الخطأ :

روى النسائي رحمه الله تعالى في «سننه» : عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ ، وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ ، قَالَ : «ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»[٢] .

* الكفارة عن الخطأ :

إذا كانت بعض الأخطاء لا يمكن استدراكها فإن الشريعة قد جعلت أبوابًا أُخر لمحو آثرها ، ومن ذلك : الكفارات وهي كثيرة : ككفارة اليمين ، والظهار ، وقتل الخطأ ، والوطء في نهار رمضان ، وغيرها .

(١٩) إنكار موضع الخطأ وقبول الباقي :

قد لا يكون الكلام أو الفعل كله خطأ ، فيكون من الحكمة الاقتصار في الإنكار على موضع الخطأ ، وعدم تعميم التخطئة لتشمل سائر الكلام أو الفعل ، يدلُّ على ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه» عن الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قالت : جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ حِينَ بُنِيَ عَلَيَّ ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي ، فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِي يَوْمَ بَدْرٍ ، إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ ، فَقَالَ : «دَعِي هَذِهِ ، وَقُولِي : بِالَّذِي كُنْتِ تَقُولِينَ»[٣] .

---

(١) «الفتح» (٥٢٣٣) .

(٢) «المجتبى» (١٤٣/٧) وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» برقم (٣٨٨١) .

(٣) «فتح» (٥١٤٧) .

وفي رواية الترمذي : فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ : «اسْكُتِي عَنْ هَذِهِ ، وَقُولِي الَّذِي كُنتِ تَقُولِينَ قَبْلَهَا»[1] .

وفي رواية ابن ماجة : فَقَالَ : «أَمَّا هَذَا فَلا تَقُولُوهُ ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلا الله»[2] .

ولا شك أن مثل هذا التصرُّف يُشعر المخطئ بإنصاف وعدل القائم بالإنكار والتصحيح ، ويجعل تنبيهه أقرب للقبول في نفس المخطئ ، بخلاف بعض المُنكرين ، الذين قد يغضب أحدهم من الخطأ غضبًا يجعله يتعدَّى في الإنكار يصل به إلى تخطئة ورفض سائر الكلام بما اشتمل عليه من حق وباطل ، مما يسبِّب عدم قبول كلامه وعدم انقياد المخطئ للتصحيح .

وبعض المخطئين لا يكون خطؤهم في ذات الكلام الذي تفوَّهوا به ، ولكن في المناسبة التي قالوا فيها ذلك الكلام ، كمثل قول البعض عند وفاة شخص : الفاتحة ، ثمَّ يقرؤها الحاضرون وقد يحتجون بأن ما قرؤوه قرآنًا وليس كفرًا ، فلابدَّ أن يبيّن لهم أنَّ الخطأ في فعلهم هو في تخصيص الفاتحة بهذه المناسبة على وجه التعبّد دون دليل شرعي ، وهذه هي البدعة بعينها .

وهذا المعنى هو الذي لفت إليه ابن عمر ﷺ نظر رجل عَطَسَ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ الله ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَأَنَا أَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِ الله ، وَلَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ الله ﷺ ، عَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ[3] .

---

(١) قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ «سنن الترمذي» طبعة شاكر (١٠٩٠) .
(٢) «سنن ابن ماجة» ط. عبدالباقي رقم (١٨٧٩) وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» برقم ١٥٣٩ .
(٣) «سنن الترمذي» رقم (٢٧٣٨) .

(٢٠) إعادة الحق إلى صاحبه وحفظ مكانة المخطئ :

روى مسلم عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ ، فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لِخَالِدٍ : **«مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ ؟»** قَالَ : اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : **«ادْفَعْهُ إِلَيْهِ»** ، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ فَجَرَّ بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟ فَسَمِعَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَاسْتُغْضِبَ ، فَقَالَ : **«لا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ ، لا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي ؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا أَوْ غَنَمًا ، فَرَعَاهَا ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا فَشَرَعَتْ فِيهِ ، فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ»**[1] .

ورواه الإمام أحمد رحمه الله بسياق أتم من هذا عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ ، قَالَ : غَزَوْنَا غَزْوَةً إِلَى طَرَفِ الشَّامِ ، فَأُمِّرَ عَلَيْنَا خَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ ، قَالَ : فَانْضَمَّ إِلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَمْدَادِ حِمْيَرَ ، فَأَوَى إِلَى رَحْلِنَا لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ إلا سَيْفٌ لَيْسَ مَعَهُ سِلاحٌ غَيْرُهُ ، فَنَحَرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَزُورًا فَلَمْ يَزَلْ يَحْتَلْ حَتَّى أَخَذَ مِنْ جِلْدِهِ كَهَيْئَةِ الْمِجَنِّ ، حَتَّى بَسَطَهُ عَلَى الأَرْضِ ثُمَّ وَقَدَ عَلَيْهِ حَتَّى جَفَّ ، فَجَعَلَ لَهُ مُمْسِكًا كَهَيْئَةِ التُّرْسِ ، فَقُضِيَ أَنْ لَقِينَا عَدُوَّنَا فِيهِمْ أَخْلاطٌ مِنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ مِنْ قُضَاعَةَ ، فَقَاتَلُونَا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَشْقَرَ ، وَسَرْجٍ مُذَهَّبٍ وَمِنْطَقَةٍ مُلَطَّخَةٍ ذَهَبًا وَسَيْفٌ مِثْلُ ذَلِكَ ، فَجَعَلَ يَحْمِلُ عَلَى الْقَوْمِ وَيُغْرِي بِهِمْ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الْمَدَدِيُّ يَحْتَالُ لِذَلِكَ الرُّومِيِّ حَتَّى مَرَّ بِهِ فَاسْتَقْفَاهُ ، فَضَرَبَ عُرْقُوبَ فَرَسِهِ بِالسَّيْفِ ، فَوَقَعَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ ضَرْبًا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَلَمَّا فَتَحَ الله الْفَتْحَ أَقْبَلَ يَسْأَلُ لِلسَّلَبِ وَقَدْ شَهِدَ لَهُ النَّاسُ بِأَنَّهُ قَاتِلُهُ ، فَأَعْطَاهُ خَالِدٌ بَعْضَ سَلَبِهِ وَأَمْسَكَ سَائِرَهُ ،

(١) «مسلم» بشرح النووي (١٢/ ٦٤) .

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى رَحْلِ عَوْفٍ ذَكَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَوْفٌ : ارْجِعْ إِلَيْهِ ، فَلْيُعْطِكَ مَا بَقِيَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَمَشَى عَوْفٌ حَتَّى أَتَى خَالِدًا ، فَقَالَ : أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَضَى بِالسَّلَبِ لِلْقَاتِلِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْهِ سَلَبَ قَتِيلِهِ ، قَالَ خَالِدٌ : اسْتَكْثَرْتُهُ لَهُ ، قَالَ عَوْفٌ : لَئِنْ رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ لأَذْكُرَنَّ ذَلِكَ لَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَهُ عَوْفٌ ، فَاسْتَعْدَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَدَعَا خَالِدًا ، وَعَوْفٌ قَاعِدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«مَا يَمْنَعُكَ يَا خَالِدُ أَنْ تَدْفَعَ إِلَى هَذَا سَلَبَ قَتِيلِهِ ؟»** قَالَ : اسْتَكْثَرْتُهُ لَهُ يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ : **«ادْفَعْهُ إِلَيْهِ»** قَالَ : فَمَرَّ بِعَوْفٍ فَجَرَّ عَوْفٌ بِرِدَائِهِ ، فَقَالَ : لِيَجْزِي لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَاسْتُغْضِبَ ، فَقَالَ : **«لا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكِي أُمَرَائِي ؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا ، أَوْ غَنَمًا ، فَرَعَاهَا ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا فَشَرَعَتْ فِيهِ ، فَشَرِبَتْ صَفْوَةَ الْمَاءِ وَتَرَكَتْ كَدَرَهُ ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ وَكَدَرُهُ عَلَيْهِمْ»** .

ونلاحظ أن خالدًا لما أخطأ في اجتهاده بمنع القاتل من السلب الكثير أمر النبي ﷺ بوضع الأمر في نصابه بإعادة الحق إلى صاحبه ، ولكنه عليه الصلاة والسلام غضب لما سمع عوفًا ﷺ يعرِّض بخالد ويتهكم عليه بقوله : «هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ» وكان عوف قد جرّ برداء خالد لمَّا مرَّ بجانبه فقال ﷺ : **«لا تُعطه يا خالد»** وهذا من باب ردِّ الاعتبار إلى الأمير والقائد ؛ لأن في حفظ مكانته بين الناس مصلحة ظاهرة .

وقد يرِدُ هنا الإشكال الآتي : إذا كان القاتل قد استحق السلب فكيف يمنعه إياه ؟ أجاب النووي رحمه الله عن ذلك بوجهين :

أحدهما : لعله أعطاه بعد ذلك للقاتل ، وإنما أخَّره تعزيرًا له ولعوف بن مالك ، لكونهما أطلقا ألسنتهما في خالد ﷺ وانتهكا حرمة

الوالي ومن ولاَّه .

الوجه الثاني : لعله استطاب قلب صاحبه ، فتركه صاحبه باختياره وجعله للمسلمين ، وكان المقصود بذلك استطابة قلب خالد ﷺ للمصلحة في إكرام الأمراء[١] .

ومن شواهد مسألة إعادة الاعتبار لمن أُخطئ عليه ، ما جاء في «مسند الإمام أحمد» : عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ ، أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلامَ ، فَلَمَّا جَاوَزَهُمْ قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : وَالله إِنِّي لأُبْغِضُ هَذَا فِي الله ، فَقَالَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ : بِئْسَ وَالله مَا قُلْتَ ، أَمَا وَالله لَنُنَبِّئَنَّهُ ، قُمْ يَا فُلانُ ، رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَأَخْبِرْهُ ، قَالَ : فَأَدْرَكَهُ رَسُولُهُمْ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ ، فَانْصَرَفَ الرَّجُلُ حَتَّى أَتَى رَسُولَ الله ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، مَرَرْتُ بِمَجْلِسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ فُلانٌ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا السَّلامَ ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُمْ أَدْرَكَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فُلانًا قَالَ : وَالله إِنِّي لأُبْغِضُ هَذَا الرَّجُلَ فِي الله ، فَادْعُهُ فَسَلْهُ عَلَى مَا يُبْغِضُنِي ، فَدَعَاهُ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ : فَسَأَلَهُ عَمَّا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ ، فَاعْتَرَفَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : قَدْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**فَلِمَ تُبْغِضُهُ ؟**» قَالَ : أَنَا جَارُهُ ، وَأَنَا بِهِ خَابِرٌ ، وَالله مَا رَأَيْتُهُ يُصَلِّي صَلاةً قَطُّ إِلا هَذِهِ الصَّلاةَ الْمَكْتُوبَةَ الَّتِي يُصَلِّيهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، قَالَ الرَّجُلُ : سَلْهُ يَا رَسُولَ الله ، هَلْ رَآنِي قَطُّ أَخَّرْتُهَا عَنْ وَقْتِهَا أَوْ أَسَأْتُ الْوُضُوءَ لَهَا أَوْ أَسَأْتُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فِيهَا ؟ فَسَأَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : لا ، ثُمَّ قَالَ : وَالله مَا رَأَيْتُهُ يَصُومُ قَطُّ إِلا هَذَا الشَّهْرَ الَّذِي يَصُومُهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، قَالَ : يَا رَسُولَ الله ، هَلْ رَآنِي قَطُّ أَفْطَرْتُ فِيهِ أَوِ انْتَقَصْتُ مِنْ حَقِّهِ شَيْئًا ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ ، فَقَالَ : لا ، ثُمَّ قَالَ : وَالله مَا رَأَيْتُهُ يُعْطِي سَائِلًا قَطُّ ، وَلا رَأَيْتُهُ يُنْفِقُ مِنْ

---

(١) «الفتح الرباني» (١٤/ ٨٤) .

مَالِهِ شَيْئًا فِي شَيْءٍ مِنْ سَبِيلِ الله بِخَيْرٍ ، إلا هَذِهِ الصَّدَقَةَ الَّتِي يُؤَدِّيهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، قَالَ : فَسَلْهُ يَا رَسُولَ الله هَلْ كَتَمْتُ مِنَ الزَّكَاةِ شَيْئًا قَطُّ أَوْ مَاكَسْتُ فِيهَا طَالِبَهَا ؟ قَالَ : فَسَأَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : لا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : «قُمْ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنكَ»[1] .

ومن الأمور المهمة حفظ مكانة المخطئ بعد توبته ورجوعه لكي يثبت على الاستقامة ويمارس حياة عادية بين الناس ، وقد جاء في قصة المرأة المخزومية التي قُطعت يدها عن عائشة رضي الله عنها : «فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدُ وَتَزَوَّجَتْ ، وَكَانَتْ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ»[2] .

(٢١) توجيه الكلام إلى طرفي النزاع في الخطأ المشترك :

في كثير من الأحيان يكون الخطأ مشتركًا ، ويكون المخطئ مخطأً عليه في الوقت نفسه ، ولكن نسبة الخطأ ربما تتفاوت بين الطرفين ، فينبغي توجيه الكلام والنصح إلى طرفي الخطأ ، وفيما يلي مثال :

عن عبد الله بن أبي أوفى قال : شكا عبد الرحمن بن عوف خالد ابن الوليد إلى رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : «يَا خالدُ لا تُؤذِ رَجلًا مِنْ أَهلِ بَدرٍ ، فَلو أَنفَقتَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا لَمْ تُدرِكْ عَمَلَهُ» فَقَالَ : يقعون فيَّ ، فأَردُّ عليهم ، فقال : «لَا تُؤذُوا خَالِدًا ، فَإِنَّه سَيفٌ مِنْ سُيُوفِ الله عزَّ

(١) ورد في «المسند» بعد هذا الحديث مباشرة ما يلي : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا أَبِي عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَجُلًا فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا الطُّفَيْلِ ، قَالَ عَبْد الله : بَلَغَنِي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْ حِفْظِهِ ، وَقَالَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ حَدَّثَ بِهِ ابْنُهُ يَعْقُوبُ عَنْ أَبِيهِ : فَلَمْ يَذْكُرْ أَبَا الطُّفَيْلِ فَأَحْسِبُهُ وَهِمَ .
وَالصَّحِيحُ رِوَايَةُ يَعْقُوبَ وَالله أَعْلَمُ . «المسند» (٥/ ٤٥٥) وقال الهيثمي : رجال أحمد ثقات أثبات «المجمع» (١/ ٢٩١) .

(٢) «صحيح مسلم» رقم (١٦٨٨) وقد تقدم .

وجلَّ صبه الله على الكفار[١] .

(٢٢) مطالبة المخطئ بالتحلل عمن أخطأ عليه :

عن أنس بن مالك ﷺ قال : كانت العرب تخدم بعضها بعضًا في الأسفار ، وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما ، فناما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعامًا ، فقال أحدهما لصاحبه : إن هذا لنؤوم[٢] ، فأيقظاه فقالا : ائت رسول الله ﷺ ، فقل له : إن أبا بكر وعمر يُقرئانك السلام ، وهما يستأدمانك[٣] ، فقال : «**أَقْرِهِمَا السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمَا أَنَّهُمَا قَدْ ائْتَدَمَا**» .

ففزعا فجاءا إلى النبي ﷺ فقالا : يا رسول الله ، بعثنا إليك نستأدمك ، فقلت : «**قَدْ ائْتَدَمَا**» فبأي شيء ائتدمنا ؟ قال : «**بِلَحْمِ أَخِيكُمَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى لَحْمَهُ بَيْنَ أَنْيَابِكُمَا**» ، يعني : لحم الذي استغاباه ، قالا : فاستغفر لنا ، قال : «**هُوَ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمَا**»[٤] .

(٢٣) تذكير المخطئ بفضل من أخطأ عليه ليندم ويعتذر :

وقد فعل ذلك النبي ﷺ فيما حصل بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التفسير من «صحيحه» عن أبي الدَّرْدَاءِ ﷺ قال : كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ

---

(١) قال الهيثمي : رجال الطبراني ثقات «المجمع» (٩/ ٣٤٩) وانظر : «المعجم الكبير» للطبراني حديث رقم (٣٨٠١) .

(٢) هذا في «تفسير ابن كثير» في ط. دار الشعب .
وفي اللفظ الذي ساقه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٦٠٨) : إن هذا ليوائم نوم نبيكم ﷺ ، وفي رواية : ليوائم نوم بيتكم .

(٣) أي يطلبان الإدام للطعام .

(٤) «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٦٠٨) وعزاه إلى الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» والضياء في «المختارة» وأورده ابن كثير في تفسير سورة الحجرات ٧/ ٣٦٣ ط. دار الشعب .

فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا ، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : وَنَحْنُ عِنْدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ»[1] قَالَ : وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ الْخَبَرَ ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : وَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ : وَالله يَا رَسُولَ الله لأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي ؟ إِنِّي قُلْتُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ، فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقْتَ»[2] .

وروى البخاري القصة أيضًا في كتاب المناقب من «صحيحه» : عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ ، حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ وَقَالَ : إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ، فَأَبَى عَلَيَّ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : «يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثَلاثًا ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ ، فَسَأَلَ : أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ ؟ فَقَالُوا : لا ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، وَالله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ ، مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو[3] لِي صَاحِبِي ؟» مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا[4] .

---

(١) أي : دخل في خصومة .
(٢) «فتح» (٤٦٤٠) .
(٣) هكذا لفظه في «فضائل الصحابة» وفي كتاب التفسير : «تاركون» .
(٤) «فتح» رقم(٣٦٦١) .

(٢٤) التدخل لتسكين الثائرة ونزع فتيل الفتنة بين المخطئين :

وقد فعل النبي ﷺ ذلك في عدد من المواضع ، ولما أوشك أن يقع بين المسلمين اقتتال تدخَّل عليه الصلاة والسلام ، كما جاء في حادثة الإفك عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ في تلك القصة : فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ : **«يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي ، وَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلا خَيْرًا ، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلا مَعِي»** قَالَتْ : فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ ، فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ الله أَعْذِرُكَ ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ ، قَالَتْ : فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ ، قَالَتْ : وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا ، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ ، فَقَالَ لِسَعْدٍ : كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله ، لا تَقْتُلُهُ وَلا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ : كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله لَنَقْتُلَنَّهُ ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ ، قَالَتْ : فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا ، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ ، قَالَتْ : فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا»[١] .

وقد ذهب النبي ﷺ إلى بني عمرو بن عوف ليُصلح بينهم ، وتأخَّر من أجل ذلك عن بداية صلاة الجماعة ، كما في «الصحيحين» وفي رواية النسائي : عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قال : وَقَعَ بَيْنَ حَيَّيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ كَلامٌ ، حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ ، فَحَضَرَتِ الصَّلاةُ فَأَذَّنَ بِلالٌ وَانْتَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَاحْتُبِسَ

---

(١) «متفق عليه» «الفتح» (٤١٤١).

فَأَقَامَ الصَّلاةَ وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ .. الحديث[١] .

وفي رواية لأحمد : عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ : أَتَى رَسُولَ الله ﷺ آتٍ ، فَقَالَ : إِنَّ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ قَدِ اقْتَتَلُوا وَتَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمْ[٢] ...

(٢٥) إظهار الغضب من الخطأ :

إذا رآه أو سمع به وخصوصًا عندما يكون الخطأ متعلقًا بالاعتقاد ، ومن ذلك : الخوض في القدر والتنازع في القرآن . ففي «سنن ابن ماجة» : عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ ، فَقَالَ : **«بِهَذَا أُمِرْتُمْ ؟» أَوْ «لِهَذَا خُلِقْتُمْ ؟ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ؟ بِهَذَا هَلَكَتِ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ»** قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو : مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ تَخَلَّفْتُ فِيهِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ وَتَخَلُّفِي عَنْهُ»[٣] .

وعند ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتنازعون في القدر ، هذا ينزع آية وهذا ينزع آية فكأنَّما سُفي في وجهه حب الرمان ، فقال : **«أَلِهَذَا خُلِقْتُمْ ؟ أَمْ بِهَذَا أُمِرْتُمْ ؟ لَا تَضْرِبُوا كِتَابَ الله بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ، اُنْظُرُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوه وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»**[٤] .

ومما حصل من غضبه ﷺ إنكارًا في مسألة من الأساسات ، ما

---

(١) «المجتبى» كتاب آداب القضاة (٨/ ٢٤٣) .
(٢) «المسند» (٥/ ٣٣٨) .
(٣) رواه ابن ماجة : رقم (٨٥) وقال في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات وقال في «صحيح ابن ماجة» : حسن صحيح رقم (٦٩) .
(٤) «السنة» لابن أبي عاصم ت: الألباني رقم (٤٠٦) وقال : إسناده حسن .

حصل في قصة عمر ﷺ في قضية مصدر التلقي ، فقد روى أحمد رحمه الله تعالى في «مسنده» : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَغَضِبَ ، فَقَالَ : «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً ، لا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي»(١) .

وقد روى الحديث أيضًا الدارمي رحمه الله تعالى : عَنْ جَابِرٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ بِنُسْخَةٍ مِنَ التَّوْرَاةِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، هَذِهِ نُسْخَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ ، فَسَكَتَ فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهُ رَسُولِ الله يَتَغَيَّرُ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ ، مَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ ؟ فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : أَعُوذُ بِالله مِنْ غَضَبِ الله وَغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ ، رَضِينَا بِالله رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ بَدَا لَكُمْ مُوسَى فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي لاتَّبَعَنِي» (٢) .

ومن شواهده حديث أبي الدرداء ، قال : جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق ، فتغير وجه رسول الله ﷺ فقال : عبد الله بن زيد - الذي أُرِيَ الأذان - أمسخ الله عقلك ؟ ألا ترى الذي بوجه

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٣٨٧) وحسنه الألباني بشواهده في «الإرواء» رقم (١٥٨٩) . ومعنى متهوكون أي : متحيرون .

(٢) «سنن الدارمي» رقم (٤٤١) المقدمة ، باب ما يُتقى من تفسير حديث النبي ﷺ وقول غيره عند قوله ﷺ . وقال المحقق عبد الله هاشم يماني : رواه أيضًا أحمد بإسناد حسن وابن حبان بإسناد صحيح .

رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيًّا وبالقرآن إماما ، فسري عن رسول الله ﷺ ثم قال : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لو كَانَ مُوسَى بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا أَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»[1] .

ونلاحظ في شواهد هذه القصة : الدور المساند للمربي من قِبَل الحاضرين ، مع ملاحظة تغيُّر وجه المربي واتخاذ الموقف بناء على ذلك ، ولا شك أنَّ اجتماع هذه الأمور يُحدث في نفس الموعوظ الأثر البالغ ، فإن العملية مرَّت بالمراحل التالية :

أولًا : الانفعال الذي حدث للنبي ﷺ بتغير وجهه غضبًا قبل أن يتكلم .

ثانيًا : ملاحظة الصديق وعبد الله بن زيد لذلك وتنبيه عمر عليه .

ثالثًا : تنبه عمر لخطئه ومبادرته إلى تصحيح ذلك ، والاعتذار عما فعل مستعيذًا بالله من غضب الله وغضب رسوله ومعلنًا للأصل الأصيل من الرضى بالله ورسوله ودينه .

رابعًا : انفراج أسارير النبي ﷺ من رجوع عمر وإدراكه لخطئه .

خامسًا : التعقيب النبوي الكريم في تثبيت الأصل والتأكيد عليه من وجوب اتباع شريعة النبي ﷺ والتحذير من مصادر التلقي الأخرى .

ومما حصل من غضبه ﷺ لرؤية منكر ما ورد في «صحيح البخاري» رحمه الله تعالى : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ :

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» : رواه الطبراني في «الكبير» ، وفيه أبو عامر القاسم ابن محمد الأسدي ولم أر من ترجمه ، وبقية رجاله موثقون ، «المجمع» (١/ ١٧٤) .

«إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ» أَوْ «إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ، فَلا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ : أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا»(١) .

ومما حصل من غضبه ﷺ عند سماعه لخطإٍ أدَّى إلى مفسدة ، ما ورد في «البخاري» أيضًا : عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي وَالله لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلانٍ ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فِيهَا ، قَالَ : فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ قَالَ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُوجِزْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ»(٢) .

ومن هذا الباب أيضًا : إظهار المفتي للغضب عند تكلُّف المستفتي وتعنُّته : فعن زيد بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَلْتَقِطُهُ ، فَقَالَ : «عَرِّفْهَا سَنَةً ثُمَّ احْفَظْ عِفَاصَهَا وَوِكَاءَهَا ، فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُخْبِرُكَ بِهَا ، وَإِلَّا فَاسْتَنْفِقْهَا» قَالَ : يَا رَسُولَ الله ، فَضَالَّةُ الْغَنَمِ ؟ قَالَ : «لَكَ أَوْ لأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ» قَالَ : «ضَالَّةُ الإِبِلِ ؟ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : «مَا لَكَ وَلَهَا ؟ مَعَهَا حِذَاؤُهَا وَسِقَاؤُهَا ، تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ»(٣) .

إن انفعال المربي المتوازن مع الخطأ عند حدوثه أو رؤيته أو سماعه بحيث يُرى ذلك في وجهه ويُعرف في صوته وأسلوبه ، هو علامة حياة في القلب ضد المنكر ، وعدم السكوت عليه ، حتى يقع في قلوب الحاضرين الرهبة من ذلك الخطأ ، ويعمل الكلام وقت الانفعال

---

(١) «فتح» (٤٠٥) .
(٢) «فتح» (٧١٥٩) .
(٣) رواه البخاري «فتح» (٢٤٣٦) .

في النفوس عمله المؤثر ، هذا بخلاف كتم الأمر أو تأخيره ، فربما يبرد أو يزول أثر التعليق .

وقد يكون من الحكمة تأخير التعليق على الحادثة المنكرة أو الكلام الخطير الخاطئ إلى حين جمع الناس ، أو اجتماعهم لأجل أهمية الأمر ، أو لعدم وجود العدد الكافي الذي يتعظ وينقل ، ولا مانع من تعليقين خاص مباشر وعام مؤخر ، ففي «صحيح البخاري» : عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي ، فَقَالَ لَهُ : «أَفَلا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لا ؟!» ثُمَّ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلاةِ فَتَشَهَّدَ ، وَأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : «أَمَّا بَعْدُ ؛ فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا ، فَيَقُولُ : هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي ، أَفَلا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لا ؟! فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ ، فَقَدْ بَلَّغْتُ» فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ : ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَهُ ، حَتَّى إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ»[١] .

(٢٦) التولي عن المخطئ وترك جداله لعله يراجع الصواب :

روى البخاري رحمه الله : عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلام بِنْتَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ لَهُمْ : «أَلا تُصَلُّونَ ؟» فَقَالَ عَلِيٌّ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ الله ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا ، ثُمَّ سَمِعَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ

(١) «فتح» (٦٦٣٦) .

يَقُولُ : «﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾» [الكهف: الآية ٥٤][1] .

(٢٧) عتاب المخطئ :

كما فعل النَّبيُّ ﷺ مع حاطب ﷺ ، حينما علم أنه أرسل إلى كفار قريش يخبرهم بنية المسلمين في التوجُّه إلى مكة لفتحها ، فإنه قال له : «**مَا حَمَلَكَ يَا حَاطِبُ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟**» قَالَ : مَا بِي إِلا أَنْ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِالله وَرَسُولِهِ ، وَمَا غَيَّرْتُ وَلا بَدَّلْتُ ، أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ الله بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي ، وَلَيْسَ مِنْ أَصْحَابِكَ هُنَاكَ إِلا وَلَهُ مَنْ يَدْفَعُ الله بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ ، قَالَ : «**صَدَقَ ، فَلا تَقُولُوا لَهُ إِلا خَيْرًا**» قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : إِنَّهُ قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، قَالَ : فَقَالَ : «**يَا عُمَرُ ، وَمَا يُدْرِيكَ ؟ لَعَلَّ الله قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ**» قَالَ : فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ : الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ[2] .

وفي هذه القصة عدد من الفوائد التربوية العظيمة :

١- معاتبة النبي ﷺ للصحابي المخطئ خطأً بالغًا بقوله له : «**ما حملك على ما صنعت**» .

٢- الاستعلام عن السبب الذي دفع بالمخطئ إلى الخطأ ، وهذا لاشك سيؤثر في الموقف الذي سيُتَّخذ منه .

٣ - أن أصحاب الفضل والسابقة ليسوا معصومين من الذنب الكبير.

٤ - أنَّ على المربي أن يكون واسع الصدر في تحمّل أخطاء أصحابه ليدوموا معه على المنهج السويِّ فالغرض إصلاحهم لا إبعادهم .

٥ - أن على المربي أن يقدِّر لحظة الضعف البشري التي قد تمرُّ

---

(١) وكلام علي ﷺ يحتمل أمورًا ، يُنظر : «الفتح» (٧٣٤٧) .
(٢) «فتح» (٦٢٥٩) .

ببعض من معه ، وأن لا يُؤخذ بسقطة قوية وخطأ فظيع قد يقع من بعض القُدامى .

٦- المدافعة عمن يستحق الدفاع عنه من المخطئين .

٧- أن المخطئ إذا كانت له حسنات عظيمة سابقة فلابدَّ أن تؤخذ بالاعتبار عند تقويم خطئه واتخاذ موقف منه .

(٢٨) لوم المخطئ :

الخطأ الواضح لا يُمكن السكوت عليه ، ولابد من توجيه لوم وتأنيب إلى المخطئ بادئ ذي بدئ ، ليحس بخطئه ، روى البخاري في «صحيحه» : عن عَلِي ﷺ قَالَ : كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ الصَّوَّاغِينَ وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي ، فَبَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفَيَّ مَتَاعًا مِنَ الأَقْتَابِ وَالْغَرَائِرِ وَالْحِبَالِ ، وَشَارِفَايَ مُنَاخَتَانِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، رَجَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ فَإِذَا شَارِفَايَ قَدِ اجْتُبَّ[١] أَسْنِمَتُهُمَا وَبُقِرَتْ[٢] خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا ، فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ مِنْهُمَا ، فَقُلْتُ : مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ فَقَالُوا فَعَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِي الَّذِي لَقِيتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**مَا لَكَ ؟**» فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، عَدَا حَمْزَةُ عَلَى نَاقَتَيَّ فَأَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا ، وَهَا هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِرِدَائِهِ

(١) جبَّ أي : قطع .
(٢) بقر أي : شقَّ .

فَارْتَدَى ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْزَةُ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنُوا لَهُمْ ، فَإِذَا هُمْ شَرْبٌ فَطَفِقَ[1] رَسُولُ الله ﷺ يَلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ ، فَإِذَا حَمْزَةُ قَدْ ثَمِلَ ، مُحْمَرَّةٌ عَيْنَاهُ ، فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ ، فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ ، فَنَظَرَ إِلَى سُرَّتِهِ ، ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ ، فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ حَمْزَةُ : هَلْ أَنْتُمْ إِلا عَبِيدٌ لأَبِي ؟ فَعَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ أَنَّهُ قَدْ ثَمِلَ[2] فَنَكَصَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى عَقِبَيْهِ الْقَهْقَرَى وَخَرَجْنَا مَعَهُ»[3] .

(٢٩) الإعراض عن المخطئ :

روى الإمام أحمد رحمه الله : عن حُمَيْدٍ قَالَ : أَتَانِي الْوَلِيدُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي ، قَالَ : فَقَالَ لَنَا : هَلُمَّا فَأَنْتُمَا أَشَبُّ مِنِّي سِنًّا وَأَوْعَى لِلْحَدِيثِ مِنِّي ، قَالَ : فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى بِشْرِ بْنِ عَاصِمٍ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ : تُحَدِّثُ هَذَيْنِ حَدِيثَكَ ؟ قَالَ : حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ أَبُو النَّضْرِ اللَّيْثِيُّ : قَالَ بَهْزٌ : وَكَانَ مِنْ رَهْطِهِ ، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيَّةً ، قَالَ : فَأَغَارَتْ عَلَى قَوْمٍ ، قَالَ فَشَذَّ مِنَ الْقَوْمِ رَجُلٌ قَالَ فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ السَّرِيَّةِ شَاهِرًا سَيْفَهُ قَالَ : فَقَالَ الشَّاذُّ مِنَ الْقَوْمِ : إِنِّي مُسْلِمٌ ، قَالَ : فَلَمْ يَنْظُرْ فِيمَا قَالَ ، فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ ، قَالَ : فَنَمَى الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، قَالَ : فَقَالَ فِيهِ قَوْلًا شَدِيدًا ، فَبَلَغَ الْقَاتِلَ ، قَالَ : فَبَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ يَخْطُبُ ، قَالَ الْقَاتِلُ : يَا رَسُولَ الله ، وَالله ، مَا قَالَ الَّذِي قَالَ إِلا تَعَوُّذًا مِنَ الْقَتْلِ ، قَالَ : فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَعَمَّنْ قِبَلَهُ مِنَ النَّاسِ وَأَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ أَيْضًا : يَا رَسُولَ الله ، مَا قَالَ الَّذِي قَالَ إِلا

(١) شرع وبدأ .
(٢) أي : سَكِر ففقد رشده .
(٣) «الفتح» رقم (٣٠٩١) .
وهذه القصة قبل تحريم الخمر .

تَعَوُّذًا مِنَ الْقَتْلِ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَعَمَّنْ قِبَلَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَأَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَصْبِرْ ، فَقَالَ الثَّالِثَةَ : يَا رَسُولَ الله ، وَالله ، مَا قَالَ إِلا تَعَوُّذًا مِنَ الْقَتْلِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ تُعْرَفُ الْمَسَاءَةُ فِي وَجْهِهِ ، قَالَ لَهُ : «**إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَبَى عَلَى مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا**» ثَلاثَ مَرَّاتٍ[1] .

وروى النسائي رحمه الله : عن أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ : «**إِنَّكَ جِئْتَنِي وَفِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ**»[2] .

ورواه أحمد بسياق أبسط من هذا : عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ خَاتَمُ ذَهَبٍ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ الله ﷺ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ فَحَدَّثَهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّ لَكَ لَشَأْنًا فَارْجِعْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَأَلْقَى خَاتَمَهُ وَجُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ أُذِنَ لَهُ ، وَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، أَعْرَضْتَ عَنِّي قَبْلُ حِينَ جِئْتُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِنَّكَ جِئْتَنِي وَفِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ**» فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، لَقَدْ جِئْتُ إِذًا بِجَمْرٍ كَثِيرٍ ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ بِحُلِيٍّ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِنَّ مَا جِئْتَ بِهِ غَيْرُ مُغْنٍ عَنَّا شَيْئًا إِلا مَا أَغْنَتْ حِجَارَةُ الْحَرَّةِ ، وَلَكِنَّهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» فَقَالَ الرَّجُلُ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، اعْذُرْنِي فِي أَصْحَابِكَ لا يَظُنُّونَ أَنَّكَ سَخِطْتَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَعَذَرَهُ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الَّذِي كَانَ مِنْهُ إِنَّمَا كَانَ لِخَاتَمِهِ الذَّهَبِ[3] .

وفي رواية لأحمد رحمه الله : عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ،

---

(١) «المسند» (٥/ ٢٨٩) وانظر : «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٣٠٩) .
(٢) «المجتبى» (٨/ ١٧٠) «صحيح سنن النسائي» (٤٧٩٣) .
(٣) «المسند» (٣/ ١٤) .

عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، فَأَلْقَاهُ وَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ ، فَقَالَ : «**هَذَا شَرٌّ هَذَا حِلْيَةُ أَهْلِ النَّارِ**» فَأَلْقَاهُ فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ فَسَكَتَ عَنْهُ[1] .

(٣٠) هجر المخطئ :

وهو من الأساليب النبوية المؤثرة خصوصًا إذا عظم الخطأ والذنب ، وذلك لما يُحدثه الهجران والقطيعة من الأثر البالغ في نفس المخطئ ، ومن أمثلة ذلك : ما حصل لكعب بن مالك وصاحبيه الذين خُلِّفوا في قصة «غزوة تبوك» فبعد أن تأكد للنبي ﷺ أنه لم يكن لهم عذر واعترفوا بذلك قال كعب ﷺ :

«وَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلامِنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا ، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً ، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتِي رَسُولَ الله ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلامِ عَلَيَّ ؟ أَمْ لا ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَالله ، مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ ، أَنْشُدُكَ بِالله ، هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ؟ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ لَهُ ، فَنَشَدْتُهُ ، فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ لَهُ ، فَنَشَدْتُهُ ، فَقَالَ :

---

(١) «المسند» (١٦٣) . «المسند» ت : أحمد شاكر برقم (٦٥١٨) وقال : إسناده صحيح .

اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ ، حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ . . إلى أن قال ﷺ في قصته :

حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ كَلامِنَا ، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ الله ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ»[١] .

ومما يدلّ على اعتماده ﷺ هذا الأسلوب أيضًا : ما رواه الترمذي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : «مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الْكَذِبِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْكِذْبَةِ ، فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً»[٢] .

وفي رواية أحمد : « . . فما يزال في نفسه عليه . . »[٣] .

وفي رواية : «وما اطلع منه على شيء عند أحد من أصحابه فيبخل له من نفسه ، حتى يعلم أنه قد أحدث توبة»[٤] .

وفي رواية : «كان إذا اطّلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة ، لم يزل معرضًا عنه حتى يُحْدِث توبة»[٥] .

ويتضح من الروايات السابقة : أن الإعراض عن المخطئ حتى

---

(١) «فتح» (٤٤١٨) .

* وفي هذه القصة من الفوائد العظيمة والعظات البالغة ، ما لا ينبغي تفويته بحال ، ويمكن الاطّلاع على شيء من ذلك في شروح العلماء للقصة : «كزاد المعاد» و«فتح الباري» .

(٢) قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ «سنن الترمذي» رقم (١٩٧٣) .

(٣) «المسند» (٦/١٥٢) .

(٤) «السلسلة الصحيحة» (٢٠٥٢) .

(٥) رواه الحاكم «صحيح الجامع» ٤٦٧٥ .

يعود عن خطئه ، أسلوب تربوي مفيد ؛ ولكن لكي يكون نافعًا لابد أن يكون الهاجر والمُعْرض له مكانة في نفس المهجور ، وإلا فلن يكون لهذا الفعل أثر إيجابي عليه ؛ بل ربما يشعر أنه قد استراح .

(٣١) الدعاء على المخطئ المعاند :

روى مسلم رحمه الله : أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ ، فَقَالَ : «**كُلْ بِيَمِينِكَ**» قَالَ : لا أَسْتَطِيعُ ، قَالَ : «**لا اسْتَطَعْتَ**» مَا مَنَعَهُ إلا الْكِبْرُ ، قَالَ : فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ[١] .

وفي رواية لأحمد : عن إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ بُسْرُ بْنُ رَاعِي الْعِيرِ أَبْصَرَهُ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، فَقَالَ : «**كُلْ بِيَمِينِكَ**» فَقَالَ : لا أَسْتَطِيعُ ، فَقَالَ : «**لا اسْتَطَعْتَ**» قَالَ : فَمَا وَصَلَتْ يَمِينُهُ إِلَى فَمِهِ بَعْدُ[٢] .

قال النووي رحمه الله تعالى : وفي هذا الحديث جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر ، وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل حال حتى في حال الأكل[٣] .

ونلاحظ هنا : أن الدعاء عليه لم يكن بما يُعين عليه الشيطان ولكن كان بما يُشبه التعزير .

(٣٢) الإعراض عن بعض الخطأ اكتفاء بما جرت الإشارة إليه منه تكرمًا مع المخطئ :

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ

(١) رقم (٢٠٢١) .
(٢) رقم (٤/٤٥) .
(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٣/١٩٢) .

﴿ٱلْخَبِيرُ ۝﴾ [التحريم: الآية ٣] .

قال القاسمي رحمه الله في محاسن التأويل :

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ أي : محمد ﷺ ﴿إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ هي : حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ تحريم فتاته . . أو ما حرمٌ على نفسه مما كان الله جلَّ ثناؤه قد أحله له .

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي : أخبرت بالسر صاحبتها «عائشة» .

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أطلعه عن تحديثها به .

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ أي : عرَّفها بعض ما أفشته معاتبًا .

﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ أي : بعض الحديث تكرمًا .

تنبيه في «الإكليل» : في الآية أنه لا بأس بإسرار بعض الحديث إلى من يُركن إليه من زوج أو صديق ، وأنه يلزمه كتمانه ، وفيها حسن المعاشرة مع الزوجات ، والتلطُّف في العَتَب ، والإعراض عن استقصاء الذنب[1] .

قال الحسن : «ما استقصى كريمٌ قط» ، وقال سفيان : «مازال التغافل من فعل الكرام» .

(٣٣) إعانة المسلم على تصحيح خطئه :

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، هَلَكْتُ ، قَالَ : **«مَا لَكَ ؟»** قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟»** قَالَ : لا ، قَالَ : **«فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟»** قَالَ : لا ، فَقَالَ : **«فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟»** قَالَ : لا ، قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ

---

(١) محاسن التأويل ١٦/ ٢٢٢ .

ﷺ ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ ، وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ[١] ، قَالَ : «أَيْنَ السَّائِلُ ؟» فَقَالَ : أَنَا ، قَالَ : «خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ الله ؟ فَوَالله مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا ، يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ ، أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ، ثُمَّ قَالَ : «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»[٢] .

وفي رواية أحمد : عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَا هُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ فَارِعٍ أُجُمِ حَسَّانَ ، جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : احْتَرَقْتُ يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : «مَا شَأْنُكَ ؟» قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ ، قَالَتْ : وَذَاكَ فِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : «اجْلِسْ» فَجَلَسَ فِي نَاحِيَةِ الْقَوْمِ ، فَأَتَى رَجُلٌ بِحِمَارٍ عَلَيْهِ غِرَارَةٌ فِيهَا تَمْرٌ ، قَالَ : هَذِهِ صَدَقَتِي يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَيْنَ الْمُحْتَرِقُ آنِفًا ؟» فَقَالَ : هَاهُوَ ذَا أَنَا يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : «خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ» قَالَ : وَأَيْنَ الصَّدَقَةُ يَا رَسُولَ الله إلا عَلَيَّ وَلِي ، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، مَا أَجِدُ أَنَا وَعِيَالِي شَيْئًا ، قَالَ : «فَخُذْهَا» فَأَخَذَهَا[٣] .

(٣٤) ملاقاة المخطئ ومجالسته لأجل مناقشته :

في «صحيح البخاري» عنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ : أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا ، فَتَقُولُ : نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ ، لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا ، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : «الْقَنِي بِهِ» فَلَقِيتُهُ بَعْدُ ، فَقَالَ : «كَيْفَ تَصُومُ ؟» قَالَ : كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : «وَكَيْفَ تَخْتِمُ ؟» قَالَ : كُلَّ لَيْلَةٍ ، قَالَ : «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةً ، واقرأ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ» قَالَ :

---

(١) وهو الزنبيل الكبير .
(٢) رواه البخاري «فتح» (١٩٣٦) .
(٣) «المسند» (٦/٢٧٦) .

قُلْتُ : أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : «صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ» قُلْتُ : أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : «أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا» قَالَ : قُلْتُ : أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ ، صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً» فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا ، وَأَحْصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ : وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فِي ثَلاثٍ وَفِي خَمْسٍ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ»[١] .

وفي رواية أحمد : مزيد إيضاح وفوائد حسنة : عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : زَوَّجَنِي أَبِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيَّ جَعَلْتُ لا أَنْحَاشُ لَهَا ، مِمَّا بِي مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلاةِ ، فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى كَنَّتِهِ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ وَجَدْتِ بَعْلَكِ ؟ قَالَتْ : خَيْرَ الرِّجَالِ ، أَوْ كَخَيْرِ الْبُعُولَةِ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا ، وَلَمْ يَعْرِفْ لَنَا فِرَاشًا ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَعَذَمَنِي[٢] ، وَعَضَّنِي بِلِسَانِهِ فَقَالَ : أَنْكَحْتُكَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ ذَاتَ حَسَبٍ فَعَضَلْتَهَا[٣] ، وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَشَكَانِي ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي : «أَتَصُومُ النَّهَارَ ؟» قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : «وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟» قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : «لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَنَامُ ، وَأَمَسُّ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» قَالَ : «اقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ» قُلْتُ :

(١) «الفتح» (٥٠٥٢) .

(٢) قال ابن الأثير : «عذموه» أي : أخذوه بألسنتهم ، وأصل العذم العضّ ، ومنه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص «فأقبل عليَّ أبي فعذمني وعضني بلسانه» ، «النهاية» (٣/ ٢٠٠) .

(٣) أي : أهملتها فلم تعاملها معاملة الزوجة .

إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ» قُلْتُ : إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ أَحَدُهُمَا ، إِمَّا حُصَيْنٌ وَإِمَّا مُغِيرَةُ : قَالَ : «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ ثَلاثٍ» قَالَ : ثُمَّ قَالَ : «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ» قُلْتُ : إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنِي حَتَّى قَالَ : «صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الصِّيَامِ ، وَهُوَ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ» قَالَ حُصَيْنٌ فِي حَدِيثِهِ : ثُمَّ قَالَ ﷺ : «فَإِنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً ، فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى بِدْعَةٍ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ ، فَقَدِ اهْتَدَى ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَدْ هَلَكَ» .

قَالَ مُجَاهِدٌ : فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو حَيْثُ ضَعُفَ وَكَبِرَ يَصُومُ الأَيَّامَ كَذَلِكَ ، يَصِلُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، لِيَتَقَوَّى بِذَلِكَ ، ثُمَّ يُفْطِرُ بِعَدَدِ تِلْكَ الأَيَّامِ ، قَالَ : وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ حِزْبِهِ كَذَلِكَ ، يَزِيدُ أَحْيَانًا وَيَنْقُصُ أَحْيَانًا ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوفِي الْعَدَدَ ، إِمَّا فِي سَبْعٍ وَإِمَّا فِي ثَلاثٍ ، قَالَ : ثُمَّ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : لأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ ، أَوْ عَدَلَ ، لَكِنِّي فَارَقْتُهُ عَلَى أَمْرٍ أَكْرَهُ أَنْ أُخَالِفَهُ إِلَى غَيْرِهِ»[1] .

ومن فوائد القصة :

* معرفة النبي ﷺ بسبب المشكلة ، وهو الانهماك في العبادة بحيث لم يبق وقت لأداء حقّ الزوجة فوقع التقصير .

* إنَّ مبدأ : أعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، يطبَّق في حقِّ كلِّ من كان منشغلًا ومنهمكًا بأمور من الطاعات ، كطالب العلم الذي يلقي دروسًا كثيرة ، والداعية المنغمس في شئون دعوته ، بحيث يؤدي ذلك إلى

(١) «المسند» (٢/١٥٨) ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح «تحقيق المسند» رقم (٦٤٧٧) .

شكاية الزوجة وتضررها ، وهذا ينشأ عن عدم الموازنة في القيام بالطاعات المختلفة ، وتوزيع الوقت على أصحاب الحقوق ، فلا بأس أن يخفف هذا من دروسه شيئًا ما ، وهذا من انشغالاته ، بحيث يتوفَّر الوقت الكافي للاهتمام بالبيت والزوجة والأولاد ، وإعطائهم حقوقهم في الإصلاح والمعاشرة والتربية .

(٣٥) مصارحة المخطئ بحاله وخطئه :

روى البخاري رحمه الله : عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلامٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً ، فَنِلْتُ مِنْهَا ، فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لِي : «**أَسَابَبْتَ فُلانًا ؟**» قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : «**أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ ؟**» قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» قُلْتُ : عَلَى حِينِ سَاعَتِي هَذِهِ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ ؟ قَالَ : «**نَعَمْ ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ**»[(١)] .

وفي صحيح مسلم : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلامٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً ، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : «**يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ ، قَالَ : «**يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»[(٢)] .

وهذه المصارحة والمفاتحة من النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه كانت لعلمه

---

(١) «فتح» (٦٠٥٠) .

(٢) «صحيح مسلم» رقم (١٦٦١) .

ﷺ بقبول الصحابي لذلك ، فالصراحة وسيلة مفيدة تختصر الوقت وتوفِّر الجهد ، وتبيِّن المقصود بأيسر طريق ، ولكنها تكون فيما يُناسب من الأحوال والأشخاص .

وقد يعدل الداعية عن مصارحة المخطئ ، إذا كان في ذلك حصول مفسدة أكبر ، أو تفويت مصلحة أعلى ، كأن يكون المخطئ صاحب جاه أو منصب ، لا يتقبّل ذلك ، أو أن يكون في المصارحة إحراج بالغ للمخطئ ، أو يكون ذا حساسية زائدة تجعله ذا ردٍّ فعل سلبي ، ولاشكَّ أن المصارحة مكروهة للمخطئ وثقيلة على نفسه ، لما فيها من المواجهة والإحراج والظهور بمظهر الناقص ، في مقابل ظهور الناقد في موضع المستعلي والأستاذ .

وكذلك فإنه يجب التنبه إلى أن أسلوب «اللفِّ والدوران» قد يكون له سلبيات مضاعفة تفوق المصارحة أحيانًا ، وذلك لما قد يشعر به المخطئ من الاستغفال والتلاعب ، ويتضايق من الإشارات الخفيَّة ؛ لشعوره بأنها غمز وإيذاء مبطن ، ثمَّ إن التوجيه قد لا يصل أصلًا ؛ لخفاء المقصود ، وبعده عن ذهن المخطئ ، فيمضي في خطئه قُدُمًا .

وعمومًا فإن الأشخاص يتفاوتون في التقبُّل والأسلوب الأمثل المناسب لكل منهم ، ولكن يبقى أن حسن الخلق في العرض والتوجيه له الأثر الأكبر في نجاح المهمَّة .

(٣٦) إقناع المخطئ :

إن السعي لمناقشة المخطئ بغية إقناعه يؤدي إلى إزالة الحاجز الضبابي الذي يعتري بصيرته ، فيعود إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ومن أمثلة ما ورد في السنَّة بشأن هذا ، ما رواه الطبراني رحمه الله تعالى في «معجمه الكبير» : عن أبي أمامة ﷺ : أن غلامًا شابًّا أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ائذن لي في الزنا ، فصاح [به]

الناس فقال [النبي ﷺ] : «مَهْ» . فقال رسول الله ﷺ : «أَقِرُوهُ ، أُدْنُ» ، فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟» قال : لا ، قال : «وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ، أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟» قال : لا ، قال : «وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ، أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟» ، قال : لا ، قال : «وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ، أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟» قال : «وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ، أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟» قال : لا ، قال : «وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لخالاتهم» ، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره ، وقال : «اللَّهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»[1] .

(٣٧) إفهام المخطئ بأنّ عذره الزائف غير مقبول :

يحاول بعض المخطئين تقديم مبررات مختلقة وغير مقبولة ، وخصوصًا إذا انكشف أمرهم بغتة على حين غرة منهم ، بل قد يبدو على بعضهم التلعثم وهم ينطقون بالعذر الزائف ، وخصوصًا الذين لا يُحسنون الكذب لنقاء في سرائرهم ، فكيف يتصرّف المربي يا تُرى إذا صادف مثل هذا الموقف من أحد المخطئين ؟ .

إن القصة التالية تبيِّن موقفًا رائعًا ودقيقًا للنبي ﷺ مع أحد أصحابه ، ويظهر من خلال القصة المتابعة المستمرّة من المربي للمخطئ ، إلى حين تخلّيه عن موقفه الخاطئ :

عن خوّات بن جبير ﷺ قال : نزلنا مع رسول الله ﷺ مرّ الظهران[2] ، قال : فخرجت من خبائي ، فإذا نسوة يتحدثن ، فأعجبنني ، فرجعت فاستخرجت عيبتي[3] ، فاستخرجت منها حُلَّة فلبستها ، وجئت فجلست معهن ، فخرج رسول الله ﷺ ، فقال : «أَبَا

---

(١) «المعجم الكبير للطبراني» (٧٦٧٩ و٧٧٥٩) ومنه الزيادتان بين الأقواس .
(٢) موضع بقرب مكة .
(٣) وعاء توضع فيه الثياب .

عَبْدِ الله !!» أي : أنه يُنكر عليه جلوسه مع هؤلاء النسوة الأجنبيات ، فلما رأيت رسول الله هبته واختلطت(١) ، قلت : يا رسول الله ، جمل لي شرد ، وأنا أبتغي له قيدًا(٢) ، فمضى واتبعته فألقى إليَّ رداءه ، ودخل الأراك ، كأني أنظر إلى بياض متنه في خضرة الأراك ، فقضى حاجته وتوضأ ، وأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره ، فقال : «أَبَا عَبْدِ الله مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ ؟» ثم ارتحلنا ، فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال : «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ الله ، مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الجَمَلِ ؟» فلما رأيت ذلك تعجَّلت إلى المدينة واجتنبت المسجد ، ومجالسة النبي ﷺ ، فلما طال ذلك تحيَّنت ساعة خلوة المسجد ، فخرجت إلى المسجد ، وقمت أصلِّي ، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حُجَره ، فجاء فصلى ركعتين خفيفتين ، وطوَّلت رجاء أن يذهب ويدعني ، فقال : «طَوِّلْ أَبَا عَبْدِ الله مَا شِئْتَ أَنْ تُطَوِّلَ ، فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ» فقلت في نفسي : والله لأعتذرن إلى رسول الله ﷺ ، ولأبَرِّئن صدر رسول الله ﷺ ، فلما انصرفت قال : «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ الله ، مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ ؟» فقلت : والذي بعثك بالحقِّ ، ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت ، فقال : «رَحِمَكَ الله» ثلاثًا ، ثم لم يعد لشيء مما كان(٣) .

إنه درس رائع في التربية والخطة الحكيمة المؤدية إلى النتيجة

---

(١) تلعثم يبحث عن عذر .
(٢) أتى ﷺ بعذر غير صحيح ليبرر به فعله .
(٣) قال الهيثمي : رواه الطبراني من طريقين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح ، غير الجراح بن مخلد وهو ثقة . «المجمع» (٩/٤٠١) .
وبالرجوع إلى «المعجم الكبير» للطبراني (٤/٢٠٣) تبين أن الرواية من طريق زيد ابن أسلم يحدِّث أن خوات بن جبير قال : نزلنا . . وفي ترجمة خوات ﷺ في «التهذيب» : وأرسل عنه زيد بن أسلم ، وفي «الإصابة» في وفاة خوات سنة ٤٠ أو ٤٢ ، وأما زيد بن أسلم ففي «السير» أنه توفي سنة ١٣٦ ، وعلى ذلك فالسند منقطع .

المطلوبة ، ويمكن أن يؤخذ من القصة أيضًا الفوائد التالية :

* المربي صاحب الهيبة يستحي منه من لابس المعصية إذا مرَّ به .

* إن نظرات وسؤالات المربي - على وجازتها وقصرها - لها دلالاتها الكبيرة وأثرها في النفوس .

* عدم مناقشة العذر الملفَّق لحظة سماعه - مع وضوح الثغرة فيه - والإعراض عن صاحبه يكفي في إشعار المخطئ بعدم قبوله مما يدفعه للتوبة والاعتذار ، وهذا يُؤخذ من قوله : «فمضى» .

* المربي الجيد هو الذي يجعل المخطئ يشعر بالاستحياء منه الموجب للتواري عنه ، والحاجة إليه الموجبة للإتيان إليه . ثم يتغلب الثاني على الأول .

* إن تغيير الموقف من المخطئ ينبني - في مثل هذه الحالة - على إظهار اعترافه ورجوعه عما حصل منه .

إن موقع المربي والقدوة في نفس أصحابه كبير وعظيم ولومه لبعضهم أو تخطئته تقع بموقع ، وقد يلاحظ المربي مصلحة أشخاص آخرين في إنكاره على أحد أصحابه من أجل المنفعة العامة ، ولكن هذا لا يعني ترك الأثر السلبي الخاص باقيًا ، بل يُمكن تداركه ومحو أثره بطرق منها : المعاتبة من قِبَل التابع ولو بطريق واسطة ، كما فعل المغيرة بتوسيط عمر رضي الله عنهما ، وفي المقابل إيضاح الموقف والتأكيد على مكانة التابع وحسن الظنِّ به من قِبَل القدوة والمربي .

(٣٨) مراعاة ما هو مركوز في الطبيعة والجبلّة البشرية :

ومن ذلك غيرة النساء وخصوصًا بين الضرائر ، فإن بعضهن قد تخطئ خطأ ، لو أخطأه إنسان في الأحوال العادية لكان التعامل معه بطريقة مختلفة تمامًا .

وقد كان النبي ﷺ يراعي مسألة الغيرة بين نسائه وما ينتج عنها من أخطاء مراعاة خاصة ، يظهر منها الصبر والحلم مع العدل والإنصاف ، ومن أمثلة ذلك :

ما رواه البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه» : عَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ[1] فِيهَا طَعَامٌ فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ ، وَيَقُولُ : «غَارَتْ أُمُّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا ، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ[2] .

وفي رواية النسائي : كتاب عشرة النساء عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ : أَنَّهَا يَعْنِي أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَّزِرَةً بِكِسَاءٍ وَمَعَهَا فِهْرٌ[3] ، فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ فِلْقَتَيِ الصَّحْفَةِ ، وَيَقُولُ : «كُلُوا ، غَارَتْ أُمُّكُمْ» مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ صَحْفَةَ عَائِشَةَ فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ .

وفي رواية الدارمي : كتاب البيوع ، باب : من كسر شيئًا فعليه مثله ، عن أنس قالَ : أَهْدَى بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ قَصْعَةً فِيهَا ثَرِيدٌ وَهُوَ فِي بَيْتِ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ ، فَضَرَبَتِ الْقَصْعَةَ فَانْكَسَرَتْ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْخُذُ الثَّرِيدَ فَيَرُدُّهُ فِي الصَّحْفَةِ ، وَهُوَ يَقُولُ : «كُلُوا غَارَتْ أُمُّكُمْ» .

---

(١) إناء واسع .
(٢) «فتح» (٥٢٢٥) .
(٣) أي : حجر .

وغيرة المرأة أمر مركوز فيها يحملها على أمور شديدة ، ويحول بينها وبين التبصُّر بعواقب الأمور .

حتى قيل: «إن المرأة إذا غارت لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه».

☆☆☆☆☆

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في رياض السنّة العطرة ، والاطّلاع على شيء من الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس ، يحسن قبل مغادرة الموضوع التذكير بالنقاط التالية :

☆☆ تصحيح الأخطاء واجب ومهم وهو من النصيحة في الدين ، ومن النهي عن المنكر ، ولكنه ليس كل الواجب ، فإن الدين ليس نهيًا عن المنكر فحسب ، وإنما هو أمر بالمعروف أيضًا .

☆☆ ليست التربية هي تصحيح الأخطاء فقط ، وإنما هي تلقين وتعليم وعرض لمبادئ الدين وأحكام الشريعة أيضًا ، واستعمال الوسائل المختلفة لتأسيس التصورات وتثبيتها في النفوس ، من التربية بالقدوة والموعظة والقصة والحدث وغيرها ، ومن هنا يتبين قصور بعض الآباء والأمهات والمدرسين والمربين بتوجيه جلّ اهتمامهم إلى معالجة الأخطاء ومتابعة الانحرافات ، دون ترجيح الاهتمام بتعليم المبادئ والأسس ، والمبادرة بالتحصين الذي يمنع وقوع الانحرافات والأخطاء ، ويبادرها قبل حدوثها أو يقلّل منها .

☆☆ يتضح مما سبق ذكره من المواقف والأحداث تنوع الأساليب النبوية في التعامل مع الأخطاء ، وأن ذلك قد اختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، ومن كان لديه فقه وأراد الاقتداء قاس النظير على النظير ، والشبيه على الشبيه ، فيما يمرُّ به من مواقف وأحداث ، ليتوصَّل إلى الأسلوب المناسب للحالة المعيَّنة .

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا رشدنا ، وأن يقينا شرَّ

أنفسنا ، ويجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشرِّ ، وأن يهدينا ويهدي بنا ، إنه سميع قريب مجيب ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، والهادي إلى سواء السبيل

وصلى الله على النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

كتبه

محمد صالح المنجد

الخبر - ص ب : ٢٩٩٩



فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المقدمة ٣
تنبيهات وفروقات ينبغي مراعاتها عند معالجة الأخطاء ٧
الإخلاص لله ٧
الخطأ من طبيعة البشر ٨
أن تكون التخطئة مبنية على الدليل الشرعي ٩
كلما كان الخطأ أعظم كان الاعتناء بتصحيحه أشد ١٠
اعتبار موقع الشخص الذي يصحح الخطأ ١٢
التفريق بين المخطئ الجاهل والمخطئ عن علم ١٦
التفريق بين خطأ العمد وخطأ الاجتهاد ١٧
إرادة المخطئ للخير لا تمنع الإنكار عليه ١٩
العدل وعدم المحاباة ٢٠
الحذر من إصلاح خطأ يؤدي إلى خطأ أكبر ٢٢
إدراك الطبيعة التي نشأ عنها الخطأ ٢٢
التفريق بين الخطأ في حق الشرع والخطأ في حق الشخص ٢٣
الأساليب النبوية في علاج الأخطاء ٢٩
المسارعة إلى تصحيح الخطأ وعدم إهماله ٢٩
معالجة الخطأ ببيان الحكم ٢٩
رد المخطئين إلى الشرع وتذكيرهم بالمبدأ الذي خالفوه ٢٩
تصحيح التصور الذي حصل الخطأ نتيجة لاختلاله ٣٠
معالجة الخطأ بالموعظة وتكرار التخويف ٣٣
إظهار الرحمة بالمخطئ ٣٥
عدم التسرع في التخطئة ٣٦
الهدوء في التعامل مع المخطئ ٣٨
بيان خطورة الخطأ ٤١
بيان مضرة الخطأ ٤٢
تعليم المخطئ علميًا ٤٥
تقديم البديل الصحيح ٤٦

الإرشاد إلى ما يمنع من وقوع الخطأ ٤٨
عدم مواجهة بعض المخطئين بالخطأ والاكتفاء بالبيان العام ٤٩
إثارة العامة على المخطئ ٥٢
تجنب إعانة الشيطان على المخطئ ٥٢
طلب الكف عن الفعل الخاطئ ٥٤
إرشاد المخطئ إلى تصحيح خطئه ٥٤
إنكار موضع الخطأ وقبول الباقي ٥٧
إعادة الحق إلى صاحبه وحفظ مكانة المخطئ ٥٩
توجيه الكلام إلى طرفي النزاع في الخطأ المشترك ٦٢
مطالبة المخطئ بالتحلل ممن أخطأ عليه ٦٣
تذكير المخطئ بفضل من أخطأ عليه ليندم ويعتذر ٦٣
التدخل لتسكين الثائرة ونزع فتيل الفتنة بين المخطئين ٦٥
إظهار الغضب من الخطأ ٦٦
التولي عن المخطئ وترك جداله لعله يراجع الصواب ٧٠
عتاب المخطئ ٧١
لوم المخطئ ٧٢
الإعراض عن المخطئ ٧٣
هجر المخطئ ٧٥
الدعاء على المخطئ المعاند ٧٧
الإعراض عن بعض الخطأ اكتفاءً بما جرت الإشارة إليه منه تكرمًا
مع المخطئ ٧٧
إعانة المسلم على تصحيح خطئه ٧٨
ملاقاة المخطئ ومجالسته لأجل مناقشته ٧٩
مصارحة المخطئ بحاله وخطئه ٨٢
إقناع المخطئ ٨٣
إفهام المخطئ بأن عذره الزائف غير مقبول ٨٤
مراعاة ما هو مركوز في الطبيعة والجبلة البشرية ٨٦
الخاتمة ٨٩
فهرس الموضوعات ٩١


Bibliotheca Alexandrina
0299123
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس ، ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون ، ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail: dar_aleman@hotmail.com